مقدمة في علم الحضارة

د/ عبد المطلب الشرقاوي

المحتوى

م	الموضوع	الصفحة
	• مقدمة:	٣-٤
١	• مفهوم الحضارة:	٥-٨
	- بين الثقافة والحضارة.	٨-٩
	- بين التاريخ والحضارة.	١٠-١٣
	- شروط الحضارة وصفاتها.	
	- الحضارة والأجناس والبيئات.	
٢	• أصول الحضارة الإنسانية في العصور القديمة:	١٤-١٥
	- الثقافة والحضارة في الشرق القديم (الفرعونية ووادي الرافدين وفارس).	١٦-٣٤
	- الثقافة والحضارة في الغرب القديم. (حضارة اليونان والرومان)	٣٤-٤٤
٣	• الحضارة والثقافة في العصور الوسطى:	
	- الحضارة المسيحية وعصر الإقطاع.	٤٥-٥٧
	- الحضارة العربية.	٥٨-٦٦
	- الحضارة في العصور الإسلامية.	٦٧-٧١
٤	• الحضارة في العصور الحديثة:	
	- عصر النهضة والإصلاح الديني.	٧٢-٧٧
	- تقدم العلوم.	٧٨-٨٣
	- والفلسفة والآداب والفنون في العصور الحديثة.	

تمهيد

الحضارة نتاج سعي الإنسان على الأرض بامتداد الزمان والمكان، هذا السعي المصحوب برغبة جارفة منه في التغلب على كل ما يواجه حياته من مصاعب وأخطار من ناحية، والمصحوب بنزعة في الارتقاء والتقدم نحو حياة أفضل تؤكد سيادته لهذه الأرض واستحقاقه خلافة الله فيها من ناحية أخرى.

فالإنسان المتحضر هو الأكثر قدرة على اقتحام المشاكل والبحث عن حلول لها، وفي نفس الوقت ترتقي حياته وتتقدم.

والحضارة هي نتاج التراكم المعرفي لدى الإنسان من خبرات وعلوم متوارثة عبر الأجيال في شكلها النظري، وهي أيضًا التواجد المادي الفعلي لتلك الخبرات والعلوم في شكل مرافق ومبانٍ وأدوات وآلات تواكب حياة الإنسان وتغيرها نحو الأفضل.

والحضارة لا تنتمي لشعب دون آخر، أو لجنس بشري دون سواه، ولكنها تنتمي إلى كل شعوب الأرض منذ خلق الله آدم، وإلى قيام الساعة، فكل البشرية ساهمت في صناعتها وإن حدث تباين نوعي وكمي من شعبٍ لآخر، وكذلك تباين في سبق شعب لآخر في تاريخ الحضارة.

والهندسة إحدى الأدوات التي استخدمها الإنسان في صياغة جانب من جوانب حضارته، بحيث إذا قلنا إن تاريخ الحضارة في بعض مراحلها هو تاريخ علم الهندسة فإننا لا نجانب الصواب كثيرًا... فالهندسة هي الوجه المعبر عن التطور الحضاري؛ إذ تبدو أكثر من غيرها في كل ما ترك الإنسان من إنشاءات ومبانٍ تكشف عن مقدار رُقيه والمنطقة الحضارية التي وصل إليها في زمن ما.

"ومقدمة في تاريخ الحضارات" بحث يحاول الإلمام بمفهوم الحضارة الإنسانية وأصولها وتاريخها، ويبرز مكانة مصر الحضارية باعتبارها إحدى البلاد التي نشأت فيها الحضارة الأولى قديمًا، وباعتبارها قد ساهمت بدور فعال في الحضارة الإسلامية، لعل ذلك يستنهض الهمم ويحفز المصريين على النهوض بالوطن إلى مكانة تليق به ويليق بها؛ فمصر وطنٌ عظيم، وجدير بنا أن نكون على مستوى عظمة هذا الوطن.

د. عبد المطلب الشرقاوي

المنصورة في سبتمبر ٢٠١٨م.

الحضارة: المفهوم، الثقافة، والتاريخ

- مفهوم الحضارة:

ما الحضارة؟ وما تعريفها لغة واصطلاحًا عند العرب وعند الغربيين؟ لاشك أن الحضارة بشكل عام هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودًا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية.

- تعريف الحضارة لغة:

تعريف الحضارة في اللغة مأخوذٌ من الفعل حضر، فالحضارة هي عكس البداوة التي يعيش فيها الناس حياةً قبليّةً، حيث يتخذون من حياة التنقل من منطقة إلى أخرى نمطًا للحياة، وهذا عكس الحياة المدنية أو الحضرية التي يمارس الناس فيها الزراعة وغيرها من النشاطات الحضرية، ويعيشون في المدن، فالحضارة هنا تعني الاستقرار.

وابن خلدون في محاولته استكشاف "طبائع العمران" أي قوانين تطور المجتمعات، جعل البداوة والحضارة طورين طبيعيين من أطوار المجتمعات البشرية، واعتبر الحضارة بآخر هذه الأطوار و"غاية العمران" ويمكننا فهم الغاية هنا بمعنيين: من حيث إنها تمثل خير نتاج المجتمع في الصنائع والفنون والعلوم ومظاهر الدعة والترف، ومن حيث إنها المرحلة الأخيرة للعمران" ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده".

وفي العربية الحديثة كلمة مرادفة للحضارة هي: "المدنية"، وقد استعمل الفلاسفة العرب لفظة "مدني" بمعنى "اجتماعي"، وقد استعمل ابن خلدون صيغة "التمدن" بمعنى الحضارة أو التحضر.

- **"الحضارة" في اللغات الغربية وفي الاصطلاح العلمي الحديث سبق ابن خلدون:**

وإذا انتقلنا من العربية إلى اللغات الغربية وجدنا ثمة لفظين رئيسيين يُستعملان للدلالة على معنى الحضارة: Civilization & Culture.

إن كلمة Culture مأخوذة عن اللاتينية (Culture من فعل Colere بمعنى حرث أو نمّى). وقد كانت دلالة الأصل اللاتيني في العصور القديمة والوسطية مقصورة على تنمية الأرض ومحصولاتها.

أما كلمة Civilization الفرنسية أو Civilization الإنجليزية فمشتقة كذلك من اللاتينية: Civis أي المدني أو المواطن في المدينة.

جرى بعض الكتاب، وبخاصة في الألمانية على إطلاق Culture على المظاهر المادية للحضارة (كالتكنولوجيا والصناعة وأمثالها)، و Civilization على المظاهر العقلية والأدبية.

- Culture هي دور الفتوة والازدهار والانتاج الروحي.
- Civilization هي دور الهرم الركود والانتاج المادي.

- **تعريف الحضارة اصطلاحًا:**

الحضارة اصطلاحًا تعني المظاهر العلمية، والأدبية، والفنية، وكذلك الاجتماعية الموجودة في المجتمع. وتعتمد الحضارات الإنسانية المختلفة على بعضها البعض، فكل حضارة جاءت متممة للحضارة التي سبقتها، وتُسهم هذه الحضارات في البناء الحضاري الإنساني للعالم بأكمله، فالحضارة الإغريقية وغيرها من الحضارات القديمة قامت بوضع أسس البناء الحضاري، وجاءت الحضارة الإسلامية وعملت على ازدهار هذا البناء الحضاري، ومن بعد المسلمين جاء الأوربيون وطوّروا هذا البناء الحضاري.

فالحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذٍ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها، وباختصار الحضارة هي الرقي والازدهار في جميع الميادين والمجالات.

ترتكز الحضارة على البحث العلمي والفني التشكيلي بالدرجة الأولى، فالجانب العلمي يتمثل في الابتكارات التكنولوجية وعلم الاجتماع... أما الجانب الفني التشكيلي فهو يتمثل في الفنون المعمارية والمنحوتات وبعض الفنون التي تساهم في الرقي. فلو ركزنا بحثنا على أكبر الحضارات في العالم مثل الحضارة الرومانية سنجد أنها كانت تمتلك علماء وفنانين عظماء. فالفن والعلم هما عنصران متكاملان يقودان أي حضارة.

- صفات الحضارة وشروطها:

للحضارة شروط تتمثل فيما يلي:

١- الإنسانية؛ فالحضارة إنسانية بمعنى أنها تختص بالإنسان دون غيره من الكائنات، وهذا ما يجمع بين مختلف الحضارات على الرغم من اختلافها عن بعضها البعض.

٢- الاستقرار، فالذين يقيمون حضارة يعيشون في مجتمعات مستقرة آمنة بعيدًا عن الخوف والقلق اللذين يدفعان للانتقال والهرب.

٣- التعاون الاجتماعي؛ حيث إن الحضارة في مجتمع ما ليست نتاج فرد، ولكنها نتاج مجتمع ساهم أبناؤه بشكل متفاوت في صناعتها.

٤- التفاعل الحضاري، فقد تأخذ الأمة بعضًا من حضارات الأمم الأخرى، وقد تتفاعل الحضارات فيما بينها.

٥- تيسير وسائل الاتصال: الكتابة، نظام الحكم، إنشاء المدن.

٦- إن الحضارة تتغير تدريجيًا، وليس بشكل مفاجئ.

- ثانيًا: بين الثقافة والحضارة:

يُعد الاختلاف الثقافي بين المجتمعات أحد المعايير التي تميز المجتمعات عن بعضها البعض، وعند النظر إلى أصل كلمة الثقافة نجد أنها مأخوذة من الكلمة ثَقِفَ، وتحمل كلمة ثَقِفَ عدة معانٍ كالتعليم والمعارف والفنون.

إن أقدم مفهوم للثقافة هو المفهوم الذي وضعه إدوارد تايلور، والذي يتحدث عن أن الثقافة هي كل ما يشتمل على العقائد، والمعرفة، وكذلك الفن والأخلاق، وغيرها مما يكتسبه الإنسان، وقد تم وضع تعريف لمفهوم الثقافة واُتفق عليه في إعلان مكسيكو في السادس من أغسطس عام ١٩٨٢م، وقد نص هذا الإعلان على المعنى الواسع للثقافة الذي يشمل جميع السمات المادية والروحية، وكذلك العاطفية التي يتميز بها مجتمع معين من المجتمعات أو حتى فئة اجتماعية معينة، وهذه السمات تتضمن أساليب الحياة والآداب والفنون والمعتقدات والتقاليد وكذلك حقوق الإنسان الأساسية.

وكما أوضحنا من قبل إن الحضارة تعني الإقامة في الحضر، وهي إحدى مراحل التطور الإنساني وهي عكس البداوة، والحضارة في الاصطلاح هي مجموعة المظاهر العلمية والأدبية والاجتماعية والفنية لمجتمع معين، ويمكن القول أيضًا بأن الحضارة هي كل ما يراكمه البشر عبر التاريخ من إرث معنوي؛ مثل: الآداب، الفنون، العلوم، وإرث مادي، مثل: العمائر، الفخار، الخزف، بالإضافة إلى المسكوكات.

- الفرق بين الحضارة والثقافة:

ظهرت الكثير من النقاشات حول مفهوم الثقافة والحضارة والفرق بينهما، والثقافة في مفهومها الخاص وكما يراها البعض هي حب المعرفة والاطلاع، وقد احتاجت ثقافة المجتمعات إلى أسباب عديدة للبقاء على مر الزمان، وكان ذلك أساس نشأة الحضارة. إن العلاقة بين الحضارة والثقافة تتحدد عندما ننظر إليهما من منظور الفرع والجذر،

وهنا يجدر ذكر الاتجاهات الناتجة عن الدراسات الاجتماعية –السوسيولوجية– لمفهومي الحضارة والثقافة، وهذه الاتجاهات هي:

- الاتجاه الأول: يرى أن معنى الثقافة والحضارة واحد ولذلك استخدم مصطلح Civilization للتعبير عن كليهما معًا دون وجود فرق أو تمييز بينهما، فهما المفهوم الكوني والشامل لأمة واحدة.
- الاتجاه الثاني: يعتبر الحضارة هي فقط الجزء المادي من الثقافة.
- الاتجاه الثالث: يعتبر أن الثقافة هي جزء من الحضارة بشقيها المادي والمعنوي، وهذا الاتجاه الغالب في الغرب.

عند حديثنا عن الفرق بين الحضارة والثقافة فلابد لنا من أن نذكر أن الثقافة هي الجانب التطبيقي أو الشفهي من حياة الإنسان، وهذا الجانب هو الذي يتغير، في حين أن الحضارة هي الجانب الثابت الذي لا يتغير، والحضارة الإسلامية مثال يساعد على توضيح هذا الفرق؛ فالحضارة الإسلامية ثابتة وواحدة، في حين أنه لا يمكننا القول أن الثقافة الإسلامية ثقافة واحدة بل إنها متغيرة، وتختلف من مجتمع إلى آخر.

إن العلاقة بين الثقافة والحضارة في نظر السياسيين والمفكرين مختلفة، فقد تحدث تزفيتيان تودوروف عن أن الثقافة والحضارة مستقلتان في مفهوميهما، كما أنهما غير متعارضتين، فوجود الثقافة شرطٌ أساسيٌ لتكوّن الحضارة، وقد فرق كلٌ من فضل الله إسماعيل وعبد الرحمن خليفة بين مفهوم الثقافة والحضارة بقولهما إن الحضارة هي كل ما يصدر عن الإنسان من الناحية المادية، أما الثقافة فهي الجانب المعنوي والفكري فقط، وبشكل عام فقد حدد العرب مفهوم كلٍ من الثقافة والحضارة؛ فالحضارة تعني علم العمران أي الإنجاز المادي للإنسان، بينما الثقافة هي الإنجاز المعنوي.

- **التاريخ والحضارة:**

التاريخ في اللغة هو التعريف بالوقت، فيكون تعريف الشيء بوقت حدوثه، وفي المعجم الوجيز مادة (أرخ)، أرَّخ الكتاب: حدد تاريخه. والحادث ونحوه: فصَّل تاريخه وحدد وقته... والتاريخ جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية.

أما (التأريخ) فهو تسجيل الأحوال والأحداث والظواهر التاريخية. فالتأريخ هو الكتابة عن ما حدث بشكل محدد بزمن، أما التاريخ فهو إعادة قراءة ما حدث وإعادة كتابته بصورة أخرى أقرب للحقيقة.

وترجع أهمية دراسة التاريخ في المجتمع إلى إتاحة الفرصة لاستخلاص الخبرات التاريخية من دراسة الأحداث التي وقعت في الماضي والسياقات التي ارتبطت بما حدث منها، وتفسير أسباب ونتائج تلك الأحداث في محاولة للوصول إلى معرفة أفضل عن طبيعة الزمن الحاضر.

وتاريخ الشيء هو وقت حدوثه، ويعرف عند البعض بإسناده إلى حدوث أمر شائع أو مشهور، كسقوط دولة أو قيام حرب أو غير ذلك، والمثال على هذا (عام الفيل) فكان يقال أن النبي محمد ﷺ ولد في عام الفيل، وأن فلانًا ولد بعد عام الفيل بعامين، وهكذا لشهرة تلك الحادثة أصبحت مقياسًا للتاريخ... وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذ من هجرة النبي بداية للتاريخ الإسلامي، وهو ما استمر إلى يومنا هذا.

وفي تعريف التاريخ اصطلاحًا تعددت الأقوال بين الباحثين قديمًا وحديثًا.. ومن أفضل تعريفات التاريخ ما وضعه ابن خلدون حيث قال: "إن التاريخ في باطنه هو النظر والتحقيق وتعليل الكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها" وبهذا وضع ابن خلدون اللبنة الأولى لما عرف بعد ذلك بفلسفة التاريخ.

ومن التعريفات الحديثة ما قاله المفكر المغربي عبد الله العروي: "إن التاريخ من صنع المؤرخ، فالمؤرخ هو من ينتقي من الأحداث التاريخية والمحفوظة ليصنع الأنساق ويستخلص الحقائق، أما في الغرب فإن التاريخ بحسب كولينجوود هو الماضي الذي يدرسه المؤرخ، بحيث يكون الماضي مازال حيًا في الزمن الحاضر.

ولما كانت الحضارة تعني حصيلة وثمرة ما وصل إليه الإنسان من تقدم في شتى نواحي الحياة المعنوية والمادية فإن هذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ، لأن التاريخ كما سنرى هو الزمن، والثمرات الحضارية التي ذكرناها تحتاج إلى زمن لكي تطلع، أي أنها جزء من التاريخ، أو نتاج جانبي للتاريخ، وكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن، إذ لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما في نفس الوقت، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان.

ولا تتبين القيمة الحقيقية لأي ثمرة حضارية إلا إذا جربها الإنسان في الاستعمال مرة بعد أخرى، وعرف فائدتها وتعلم كيف يصنعها إذا أراد. وهذا أيضًا يحتاج إلى وقت أي زمن وتاريخ، ولابد كذلك أن يتكاثر صنع الشيء ويتراكم، حتى يكون له أثر في حياة الإنسان، ويصبح جزءًا من هذه الحياة، فإذا وفق إنسان إلى صنع قوس واحدة ورمى بها ثم تركها أو لم يعرف كيف يستفيد منها في الصيد والحرب فأهملها، لم تكن لها قيمة حضارية. ومن المؤكد عند العلماء أن كل اكتشاف من الاكتشافات المبكرة التي كونت الخطوات الأولى في المسيرة الحضارية، اكتشفت وأهملت أو نسيت أكثر من مرة في نفس الجماعة، حتى اتضحت قيمتها العملية، فعمل الناس على الإكثار منها واستعمالها، ومع الإكثار تحسن نوعها وزادت كمياتها.

وأصبحت أداة من أدوات الحياة اليومية، وهذا هو ما يسمى بالقيمة التراكمية Cumulative Value وهذا أيضًا يحتاج إلى زمن وتاريخ.

وعندما وجدنا رغيفا الخبز في مقابر الفراعنة عرفنا أن وراء هذه الأقراص تاريخًا طويلًا، وعندما درسنا أحوال المجتمعات البدائية الباقية إلى اليوم، عرفنا صفحات طويلة من ذلك التاريخ، فمن هذه القبائل ما يعرف القيمة الغذائية لسنابل القمح التي توجد برية بين الحشائش، فيأخذون القمح من السنابل ويأكلونه كما هو، ومنها من يجمع أفرادها هذه السنابل حصدًا، ومنها قبائل تزرع القمح وتحصده وتأكله حبًا، ومنها قبائل تجرشه قبل أن تأكله، وهناك قبائل تطحنه وتأكله دقيقًا أو تذيبه في الماء، وهكذا حتى نصل إلى القبائل التي تصنع الخبز، وإذا كان عمر الإنسان على وجه الأرض يرجع إلى ثلاثمائة ألف سنة على أقرب الآراء إلى الصحة، فإن لكل من هذه القبائل مكانها على هذا الطريق أو التاريخ الطويل الذي يحكيه رغيف الخبز الذي وجدناه في مقابر الفراعنة.

وهنا ومرة أخرى تتجلى لنا الصلة بين الحضارة والتاريخ، ولنذهب مع هذا المثل الواحد خطوة أخرى فنقول: إن صنع الخبز لم يتيسر إلا بأدوات من مواعين وآنية وأحجار طحن، وعلم يتمثل في خلط الدقيق بالماء وعجنه وحسن استخدام للنار في هذا المطلب، وهذه كلها احتاجت إلى أزمان متطاولة حتى تمكن الناس من جمعها واستخدامها معًا لصناعة شيء واحد هو رغيف الخبز.

فالحضارة والتاريخ على هذا مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباط، ولا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الحضارة حديثًا معقولًا إلا إذا عرف ماهية التاريخ معرفة معقولة أيضًا. ولا معنى لأن نشير هنا إلى ما ذهب إليه بعض قدماء المفكرين ومنهم أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، الذي أيدَّ هذا الرأي في كتابه المسمى: (مراتب العلوم) من أن الله –سبحانه وتعالى– قد أوحى إلى الإنسان الحرف والصنائع كلها وحيًا، فأوحى إلى أول نجار صنعة النجارة، وكذلك فعل مع الحدادة، والبناء وبقية الصناعات. كما أوحى

سبحانه إلى النحل كيف تبني خلاياها، يقول ابن حزم: "وكيف يتأتى للنحل أن يصنع خليته إلا بإلهام من الله –تعالى–؟ نقول ونرد على هذا القول: بأن هذا أسهل وسطحي في تفسير ظاهرة الحضارة، وقد غاب عن ابن حزم أن النحلة تبني خليتها بغريزة مركبة فيها، هدفها المحافظة على نوعها. ولهذا فإن النحل يصنع خلاياه على هذا النحو من عشرات الألوف من السنين، وسيظل يصنعها على هذه الوتيرة إلى أن يطوي الله الأرض وما عليها، أما الإنسان فله غرائزه أيضًا التي يحافظ بها على بقائه وبقاء نوعه، وبالغرائز –وحدها– يظل الإنسان على هيئته التي فطره الله عليها أبد الدهر، أما تقدمه وتحسن أحواله فيرجع إلى مواهب أخرى أعطاه الله إياها، أولها العقل، وهذا العقل هو الذي اختزن المعلومات ولاحظ الأشياء وتأملها، وتبين الروابط بينها، واكتشف، واخترع، وفتح للإنسان أبواب السيادة على هذا الكوكب.

إذن لا غنى للحضارة عن التاريخ لكتابة وتسجيل بدايتها ونشأتها ومراحلها، والتطور الذي لحق بها في شتى جوانبها، ودور الأمم والشعوب في هذا التطور وصولًا إلى التقدم الذي أصبحت عليه البشرية الآن.

أصول الحضارة الإنسانية في العصور القديمة

- **البدايات الحضارية الأولى:**

في وادي النيل، وبلاد الرافدين، في سوريا، في شبه الجزيرة العربية.

- **أسباب قيام الحضارات القديمة:**

١- الموقع الممتاز وسهولة الاتصال بالجهات المجاورة.

٢- ملائمة المناخ، مما يساعد على بذل النشاط البشري والابتكار.

٣- خصوبة التربة الزراعية، ووفرة الموارد المائية كالأنهار.

٤- استقرار السكان في المجتمع الزراعي وتعاونهم.

- **مواطن الحضارات القديمة في الوطن العربي:**

١- **في وادي النيل:** ظهرت الحضارة المصرية القديمة في مصر وشمال السودان منذ ٤٠٠٠ ق.م، وهي أول حضارة عرفها العالم القديم، وتدل على التقدم في مختلف العلوم والفنون.

٢- **في بلاد الرافدين (العراق):** ظهرت حضارة السومريين، والبابليين، والآشوريين، وتأثرت هذه الحضارات وأثرت في الحضارات المجاورة.

٣- **في سوريا:** ظهر العموريون، والكنعانيون، والفينيقيون، والآراميون، ونبغوا في كثير من العلوم والفنون، ونقلوا أصول الحضارة إلى بلاد العالم القديم.

٤- **في شبه الجزيرة العربية:** ظهرت في اليمن حضارات زاهرة، امتازت بإنشاء السدود، وتنظيم وسائل الري، وتقدم التجارة، وفي أقصى الشمال استقرت قبائل عربية أقامت دولًا قوية مثل: (الأنباط، والتدميريين، والغساسنة).

كما أن الجزيرة العربية كانت مصدرًا للهجرة البشرية المستمرة التي استقرت في أجزاء كثيرة من الوطن العربي، ومن بينها بلاد المغرب العربي.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن المنطقة كانت منبت الحضارات الأولى، والتي هي جزء عزيز من وطنك العربي الإسلامي الكبير، كانت إلى جانب ذلك مهدًا للديانات السماوية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلامية.

الحضارة في الشرق القديم

الحضارة الفرعونية (الموقع وأهم الدول)

- الموقع، نهر النيل، الوادي والدلتا.
- قيام الدولة المصرية وتطورها.

١- **موقع مصر الإقليمي:** تقع مصر شمال شرق أفريقيا، وتربط بين قارتي آسيا وأفريقيا، وهذا يعني أنها تتمتع بمركز استراتيجي تجاري ممتاز تلتقي فيه التجارة المتبادلة بين القارتين، بل وأوروبا كذلك، إذا تربط بين بحرين كبيرين، هما: البحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط.

٢- **نهر النيل:** كانت مصر عبارة عن صحراء قاحلة، فحول نهر النيل طبيعتها من الصحراء إلى أرض زراعية، ولذلك عُدت مصر هبة النيل، واعترف المصريون بفضله فقدسوه وعبدوه باعتباره إلهًا، واستمروا يحتفلون بفيضانه السنوي (وفاء النيل) إلى أن أبطل عمرو بن العاص تلك العادة الجاهلية.

٣- **تكوين الوادي والدلتا:** ساعد النيل بفيضانه على تكوين طبقة من الغرين، عرفت بالوادي، أي: (الأرض الخصبة الصالحة للزراعة الواقعة على جانبي النيل) بينما عرفت المنطقة الشمالية بـ(الدلتا).

قيام الدولة المصرية

كان المصريون يسكنون الهضاب على شكل قبائل متفرقة في بادئ الأمر، اشتغلت بالصيد حينًا من الزمن، فلما عرف أفرادها الزراعة واستقروا على ضفاف النيل، انضمت القبائل بعضها إلى بعض، وتكونت منها إمارات صغيرة مستقلة، وقد كان عدد هذه الإمارات متساويًا تقريبًا، ففي الشمال ٢٠، وفي الجنوب ٢٢، ثم انضمت تلك الإمارات وكونت مملكتين: مملكة الشمال وعاصمتها ممفيس، وإلهها (حورس) الذي يمثل في نظرهم النور المنبعث من نجوم السماء، ومملكة الجنوب وعاصمتها طيبة وإلهها (ست) ويمثل الظُلمة والهلاك.

ولم تقف الحروب في مصر بعد ظهور المملكتين، بل استمرت بينهما إلى أن تمكن "مينا" آخر ملوك مصر الشمالية وَوَحَّد مصر سنة ٣٢٠٠ ق.م تحت قيادته، ومن ثم لقب نفسه "فرعون".

والحقيقة أن المؤرخين يعتبرون ظهور المملكة المصرية تحت قيادة "مينا" بداية العصر التاريخي، وفاتحة قيام الأسر التي حكمت مصر طيلة قرون عديدة، ويبلغ عددها حوالي ٣٠ أسرة، أعقبها العصر البطلمي ثم الاحتلال الروماني. وانتهى الأمر بالفتح الإسلامي سنة ٦٤١م.

١- الدولة القديمة:

لما وحد "مينا" الدولة المصرية عمل على تأمين حدودها، لذلك دخلت مصر في حروب مع كل من الليبيين (الغرب)، والآراميين (الشرق) والنوبيين (الجنوب)، وأدت هذه الحروب إلى ضعف السلطة المركزية. ولم يتحقق الاتحاد الحقيقي إلا في عهد الأسرة الثانية، التي جعلت من مصر دولة قوية، واتخذت الأسرة الثالثة "منف" عاصمة لها.

وتقوت بصورة أكثر في عهد الأسرة الرابعة، وتتضح لنا قوة هذه الأسرة في الأهرامات التي شيدها الفراعنة في الجيزة، وأشهر فراعنة مصر القديمة، هم: "مينا"، والفراعنة الثلاث: خوفو، وخفرع، ومنقرع.

وبعد الأسرة الرابعة أخذت مصر في الضعف، واتضح ذلك بصورة خاصة في عهد الأسرة السادسة، بحيث عجز الفراعنة عن إعادة الأمن إلى البلاد، بل أصبح الولاة المحليون يتصرفون كلٍ في ولايته وكأنه مستقل عن السلطة المركزية، إلى أن تمكن أحد أمراء طيبة من جمع السلطة بيده، وذلك بعد أن قضى على فراعنة الأسرة العاشرة.

٢- الدولة الوسطى:

تمكن ملوك (فراعنة) الأسرة الحادية عشرة من إعادة البلاد إلى ما كانت عليه من وحدة وارتباط بالسلطة المركزية. لكن نفوذ الأمراء في ولاياتهم لم يُقض عليه نهائيًا إلا في عهد أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة الذي قام بإصلاحات عديدة ساعدته على تدعيم أركان دولته في الداخل، وتعزيز نفوذها في الخارج، وكذلك فعل من بعده ابنه سنوسرت الأول، الذي تقدمت في عهده البلاد، وقامت فيها نهضة فنية كبيرة من أشهر آثارها المسلة المشهورة بالمطرية، التي وجدت في عين شمس. لكن في عهد الأسرة الثالثة عشرة تعرضت البلاد إلى غزو الهُكسوس (ملوك البدو)، وهم قوم رعاة جاءوا من آسيا وتمكنوا من الاستيلاء على مصر، وبالرغم من طول مدة حكمهم ومحاولاتهم المتعددة للسيطرة واستعمار المصريين فإنهم لم يصلوا إلى غرضهم، بل إن الكثير منهم تأثر بالحضارة المصرية. أما المصريون فقد اعتبروهم مستعمرين، وبذلوا مجهودات متواصلة لطردهم من بلادهم إلى أن تمكن أخيرًا أحد أمراء طيبة "أحمس الأول" مؤسس الأسرة السابعة عشرة من طردهم وتوحيد البلاد (مصر) تحت سيطرته، وأسس الإمبراطورية الحديثة أو الدولة الحديثة.

٣- الدولة الحديثة:

قام أحمس الأول أحد فراعنة مصر، فجمع شمل المصريين وحارب الهكسوس وأخرجهم من مصر، ثم تبعهم إلى سورية الجنوبية، ثم زحف بعده تحتمس الأول واستولى على سورية، ووصل إلى نهر الفرات. وكذلك فعل من بعده أمنحتب الأول مع كل من الليبيين والساميين، لكن وفاة زوجته أدت التنافس على الملك انتهي بتولية حتشبسوت (بنت الملكة والوريثة الحقيقية) التي قامت بأعمال عظيمة، منها: المسلة المعروفة بمسلة حتشبسوت، لكن البلاد توسعت إلى أن بلغت نهر الفرات، عند حدود الحيثيين في عهد تحتمس الثالث، ثم أعقبه عدة فراعنة أشهرهم رمسيس الثاني، الذي رفع سمعة مصر في الداخل بحُسن تنظيمه، والخارج بكثرة انتصاراته، ورمسيس الثالث الذي اشتهر بكثرة الحروب، لكن تسلط الكهان من بعده أدى إلى ضعف الدولة، ومن ثم تعرضت للاحتلال الأجنبي، كالاحتلال الآشوري، والفارسي سنة ٥٢٥ ق.م، والبطالمة من سنة ٣٣٢ -٣٠ ق.م، فالاحتلال الروماني من سنة ٣٠ق.م-٦٤٠م، حيث تمكن عمرو بن العاص من فتح مصر سنة ١٨هـ-٦٤٠م.

حضارة مصر القديمة (مظاهر الحضارة")

- **الحياة الثقافية والفنية، الحياة الاجتماعية.**
- **الحياة الاقتصادية، الحياة الدينية.**

علمنا بأن تاريخ مصر القديم يمتد من قيام الدولة المصرية القديمة ٣٢٠٠ ق.م، وخلال هذه المدة الطويلة تمكن المصريون القدماء من تأسيس حضارة راقية لا تزال بعض آثارها قائمة ليومنا هذا، تشهد على مدى الرقي والعظمة التي حققها الشعب المصري، ومن أهم العوامل التي ساعدت على قيام الحضارة:

أ- الموقع الجغرافي المناسب.

ب- اعتدال المناخ.

ج-أهمية نهر النيل، ووفرة الصخور والمعادن.

١- نظام الحكم والإدارة والجيش:

كانت مصر في فوضى واضطراب نتيجة التنافس والحروب وتعدد الآلهة، ثم أخذت الوحدة السياسية تتحقق شيئًا فشيئًا، فتطور نظام الحكم فيها حتى وصل مرتبة راقية. ويعتمد نظام الحكم على أسس ثلاثة:

أ- **فرعون:** تحتل شخصية فرعون المكانة الأولى في مصر، فهو رئيس الدولة والكاهن الأكبر، ورئيس القضاة، ورئيس بيت المال، ورئيس الجيش (القائد العام للجيش المصري)، وكان القسم الأكبر في الدولة بـ(حياة فرعون) "بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون" قرآن كريم. وهذا يعني بأن الفراعنة هم الرؤساء الفعليون للدولة، لاسيما العظماء منهم الذين كانوا يقومون بجولات تفتيشية من حين إلى آخر، هذا علاوة على التقارير التي كان يرسلها الولاة وكبار الموظفين من مختلف الولايات بانتظام.

ب- **الوزير:** ونظرًا لكثرة أعمال فرعون اتخذ بعض المساعدين وعلى رأسهم الوكيل (رئيس الوزراء) الذي كان يقوم في معظم الأحيان بجولات تفتيشية في الولايات، بل كثيرًا ما وجهت إليه التقارير باستثناء الخاصة منها التي كانت توجه مباشرة لفرعون، لكن ضعف بعض الفراعنة ساعد بعض الوزراء على الاستبداد والاستيلاء على مقاليد الحكم. ويأتي في الدرجة الثانية بعد رئيس الوزراء كبير أمناء الخزينة (وزير المالية) ومهمته الإشراف على أملاك المعابد والزراعة والضرائب والتجارة...إلخ.

ج- **حكام الأقاليم:** أما في الولايات (وعددها عشرون ولاية في الغالب) فكان على كل منها والٍ يساعده عدة موظفين، وهو صورة مصغرة لفرعون، وكثيرًا ما أصبح الواحد

منهم أميرًا مستقلًا بولايته، ولربما تمكن أحد الأمراء من التمرد على السلطة أو القيام بالثورة والاستيلاء على الحكم، وتنتهي إليه الفرعنة متى تزوج بالوريثة الشرعية. أما من الناحية القضائية فكانت هناك محاكم تعتمد في الغالب على الأحكام العرفية، فعقوبة الخيانة العظمى هي الإعدام، إلا إذا شفع في الشخص فرعون. أما الجرائم الصغيرة فعقوبتها تختلف بحسب أهميتها وأقل عقوبة هي الضرب.

د- **الجيش:** فهو على ثلاثة أنواع رئيسية هي:

- أتباع فرعون (الحرس الملكي) وواجبهم حراسة القصر الفرعوني والقلاع أثناء السلم، ويجند معظمهم أثناء الحرب.
- جنود الأمراء أو جيش المقاطعات ويترأسهم الوالي أو أحد الأشراف أثناء الحرب تحت رئاسة فرعون أو أحد القادة المشهورين الذي يقع عليه الاختيار، أو صاحب بيت السلاح (وزير الدفاع)، أما في حالة السلم فيقومون بالأعمال المدنية في مقاطعاتهم، وكثيرًا ما يحارب المرتزقة بجانب الجيش.
- البحرية: يحتل الموقع المصري المطل على البحرين الأبيض والأحمر أن يكون له أسطول بحري قوي، يترأسه أثناء الحرب أحد الأشراف الماهرين، بينما يترأس الجيش كله فرعون أو نائب عنه، وكثيرًا ما تمنح الأوسمة للجيش عند انتصاره تشجيعًا له، وأكثر من هذا تقام على شرفه حفلة عند معبد الإله "آمون" تقدم خلالها الهدايا للإله اعترافًا بفضله ونصرته لهم.

٢- الحياة الثقافية والفنية:

أ- **الكتابة:** تعتبر اللغة المصرية القديمة ذات صلة وثيقة باللغات السامية والحامية، وأقدم نص مكتوب لمصر يعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد، وهو الخط الهيروغليفي الذي لا يعدو عن كونه علامات تطورت بتطور الفكر القديم.

وقد استمرت كتابة المصريين الهيروغليفية مجهولة بعدئذٍ إلى أن كشف شامبليون رموز وطلاسم حجر رشيد إبان الحملة الفرنسية على مصر.

ب- **التعليم:** وكان محصورًا في الطبقة الممتازة، أي العائلة المالكة والنبلاء والكهان والموظفين، لأن العادة تقضي أن يرث الابن أباه في الوظيفة، وكان الأطفال يتعلمون في الفترة الصباحية فقط، يتلقون خلالها القراءة والكتابة والحساب وغيرها من العلوم الأخرى كالأخلاق التي تعتمد على الأمثال والحكم (كن محبًا لأمك دائمًا وكن عطوفًا عليها لأن الله يغضب إن لم تمنحها الحب. حين يلقي الشباب المسنين يفسحون لهم الطريق ويقفون جانبًا، وحين يقترب المسنون يقومون من مقاعدهم)، واهتم المصريون بمختلف المجالات الأدبية التي تمثل حياتهم اليومية ومجتمعهم ومعتقداتهم، وقد تقدمت العلوم المصرية تقدمًا محسوسًا، فمن ذلك أنهم عرفوا السنة الشمسية، وقسموا السنة (٣٦٥ يومًا) إلى ١٢ شهرًا، والشهر إلى (٣٠ يومًا)، والشهر إلى ثلاثة أقسام (١٠×٣=٣٠)، كما اخترعوا الساعة المائية، اخترعها (سن لروي) كما عرفوا الطب، وفن التحنيط، وكانوا يعالجون مرضاهم بالسحر والنباتات الطبيعية ومنهم انتقل الطب للإغريق.

ج- **العمران:** أما العمران وفن النحت، فقد قطعوا فيه شوطًا عظيمًا، تمثل ذلك في صنع التماثيل الجميلة (بعض التماثيل)، وأكثر من ذلك الأهرامات العظمى وأقدم هرم هو الهرم المدرج بسقارة للملك "زوسر" فهرم "سنفرو" أحد ملوك الأسرة الثالثة، المعروف بهرم ميدوم، أفخم أهرامات مصر كلها، وفي عهد الأسرة الخامسة شيدت مجموعة من الأهرامات، والهرم يحيطه غالبًا سور خارجي لمعبد كبير أو عدة معابد. وإذ اشتهر المصريون بالفن المعماري فإنهم اشتهروا

أيضًا بفن النحت، من ذلك رأس "نفرتيتي" من الأسرة الرابعة، ولوحة شريكين في الحياة من الأسرة ١٨، وغيرها من الألواح والتماثيل العديدة.

٣- الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع المصري القديم مجتمعًا طبقيًا يتكون من طبقتين رئيسيتين "طبقة الملوك والنبلاء والكهنة، وهي الطبقة الممتازة، أما الطبقة الثانية فهي طبقة الفلاحين الذين يكونون الأغلبية الساحقة من سكان مصر، وكان هؤلاء مرتبطين بالأرض التي يعملون فيها، وكانت مطالبهم بسيطة في المأكل والملبس والمسكن معًا. "زوجان من الأسرة".

وكان الفلاح يعمل في مواسم الزرع بجد وكدح، وفي أيام الفيضانات تنتفع به الحكومة في أعمال البناء، وفي المحاجر والمناجم، وهكذا يظل الفلاح في عمل مستمر بعيدًا عن الراحة والكسل، بعكس الأعيان الذين يتمتعون بالرفاهية على أنواعها.

كانت أعياد المصريين كثيرة ومتنوعة، منها:

- أعياد رأس السنة، والربيع، والحصاد، والبذر، وهناك أعياد دينية كمواكب آمون، وتتويج الملوك ... وغيرها.
- وكان الفلاحون شديدي الحرص على المساهمة في هذه الأعياد، كما عرفوا بحبهم للموسيقى وإقبالهم عليها.
- أما المرأة فكانت تتمتع بمركز اجتماعي مهم، من ذلك حصر وراثة الملك فيها.

٤- الحياة الاقتصادية:

أ- الزراعة: ابتدأت الزراعة في مصر بالفأس الخشبي الذي تطور إلى المحراث وتبدأ عملية الحرث بعد توقف الفيضان مباشرة، ويعقب الحرث بذر البذور، ثم

تطأ الحيوانات البذور لتدخلها في الطمي اللين. ومع مرور السنين تطورت الزراعة وادخلت زراعة عدة غلل، وحفرت الترع والجداول للري، حتى غدت المنتوجات الزراعية تكفي حاجة السكان وتفوق، وكان المزارع يهتم إلى جانب الزراعة بتربية الحيوانات والطيور الداجنة.

ب- **الصناعة:** وكانت لها ورش خاصة منتشرة في كافة القطر، وكانت تستعمل المعادن والرخام والحجر أحيانًا بجانب الخشب. وتشمل الصناعة الأدوات المنزلية على اختلافها، وأدوات البناء والزراعة، وصناعة السفن، والآلات الطبية، وهي وإن كانت بدائية إلا أنها في عهدها كانت تعتبر رائعة ومتقدمة.

ج- **التجارة:** ساعد وادي النيل وموقع مصر الجغرافي، وازدهار الصناعة على ترويج التجارة الداخلية والخارجية، وأعظم عصور التجارة المزدهرة هي عصر الأسرة ١٢، إذ بلغت في عهدها التجارة إلى البحر الأسود شمالًا ومالطة في البحر الأبيض المتوسط وكانت التجارة نشيطة بصورة خاصة بين النيل ووادي الرافدين، وفي عهد الاحتلال الأجنبي انحطت التجارة المصرية، وارتبطت بتجارة الدولة المستعمرة، وكان لرواج التجارة قبل الاحتلال أثر عظيم في زيادة الدخل الوطني وتمتين العلاقات وتبادل الهدايا بين الدول الأجنبية ومصر الفرعونية.

٥- الحياة الدينية:

كان المصريون يعتقدون بمبدأ "الحساب والعقاب"، ويؤمنون بالعالم الآخر، الأمر الذي أدى بهم إلى تكريس أعمالهم في إنشاء المقابر المزودة بكل ما يحتاجه الإنسان في حياته الثانية، والأهرامات والمعابد المتنوعة، والتي كانت مدار نشاطهم الاجتماعي والسياسي، ومن هنا يتضح لنا مدى تغلغل العقيدة الدينية في نفوس المصريين، ولذلك تمتع الكهنة بمكانة عظيمة، ومن أشهر آلهتهم "رع" إله الشمس، وهو خاص بالعائلة

المالكة، لذلك عُد أعظم الآلهة وملك الملوك. والآلهة (ياست) "رأس القطة" وهي من أعظم الآلهة الشعبية المحبوبة. والإله "أوزيس" وهو إله متجسد وحاكم الأرواح، وقد حاول "أخناتون" القضاء على تعدد الآلهة الوثنية، ولكنها استمرت إلى أن اعتنق الشعب المصري الإسلام.

حضارة وادي الرافدين وبلاد فارس

"الموقع وأهم الدول"

- **الموقع: القسم الشمالي، القسم الجنوبي.**
- **أهم الدول التي ظهرت: السومرية، الأكادية، البابلية، الآشورية، الدولة الفارسية.**

١- الموقع:

يقع وادي الرافدين بين الشام في الغرب وبلاد فارس في الشرق، ويخترقه نهرا دجلة والفرات، وهما بالنسبة للعراق كالنيل بالنسبة لمصر. وتنقسم بلاد وادي الرافدين إلى قسمين متميزين عن بعضهما البعض:

- **القسم الشمالي:** وهو وديان عديدة ومرتفعات جبلية، وقد استوطنه الآشوريين قديمًا.
- **القسم الجنوبي:** وكان عبارة عن مستنقعات غير صالحة للعيش، لكن مع مرور السنين تراكم ما يأتي به النهران من غرين (ترسبات) فصلحت الأرض، ثم شرعت القبائل في الهجرة من الشمال إلى السهل الجنوبي (سهل سومر)، وأهم سكان هذا القسم: السومريون، والبابليون، والعرب حتى الفتح الإسلامي للعراق.

٢- أهم الدول التي ظهرت في العراق وبلاد فارس:

إن أهم الدول التي قامت في فترة أو فترات متعاقبة في وادي الرافدين وبلاد فارس وكان لها نفوذ كبير، هي كالآتي:

أ- الدولة السومرية:

السومريون قوم غير ساميين، استوطنوا سهل (سومر) جنوب الرافدين في حدود سنة ٤٠٠٠ ق.م، وقد مرت دولتهم بدورين بارزين:

١- **الدور الأول:** هو عصر السلالات الأولى في مدن قد تسموا باسمها، وتطورت فيما بعد إلى دول أهمها: إشنونة، وأور، ولاغاش، ويمتد عصر هذه السلالات فيما بين سنة ٢٨٠٠-٢٣٦٠ ق.م، قبل الدولة الآكادية.

٢- **الدور الثاني:** ويمتد بين سنة ٢٠٧٠-١٩٦٠ق.م، بعد زوال الدولة الآكادية.

وكان من أشهر ملوك هذا الدور: الملك غوديا، الذي أعاد لسومر قوتها وأعاد بناء معبد نينوى في لاغاش، والملك أور-نامو الذي بنى زقورة أور التي اشتهرت فيما بعد باسم برج بابل.

ب- الدولة الآكادية:

١- منذ القدم سكن في شمال وادي الرافدين قوم ساميون عُرفوا باسم الأكاديين، وظهرت دولتهم بين سنة ٢٣٦-٢١٨٠ ق.م.

٢- قام الملك سرجون بتجديد مدينة آكاد، وهو أشهر ملوك الآكاديين، فقد اتسعت في عهده الدولة حتى شملت بلاد بابل، وبلاد العيلاميين وسوريا.

٣- ازدهرت الدولة الآكادية، خاصة في زمن الملك نارام سين حفيد سرجون.

ج- الدولة البابلية:

البابليون ساميون، هاجروا من سوريا إلى سهل سومر في حدود القرن ٢٤ ق.م، وبعد قرنين من الزمان نظموا أنفسهم وأسسوا الدولة البابلية، حوالي القرن

٢٢ ق.م، غير أن العيلاميين نافسوهم في الحكم إلى أن تمكن حمورابي من إخضاعهم نهائيًا.

- **حمورابي:**

أشهر ملوك بابل على الإطلاق، فقد اعتنى بالجيش وبواسطته أخضع العيلاميين، وامتد نفوذه إلى نينوى شمالًا، كما وسع مملكته غربًا. والذي رفعه إلى منزلة المصلحين العظماء هو اهتمامه بالإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني والقضائي والعمراني حتى أُعتبر أعظم مشرع في عصره، وتُعرف قوانينه المشهورة (التي تتضمن ٢٨٥ مادة والمكتوبة بالخط المسماري) بشريعة حمورابي، وقد نقشت على حجر كبير اكتشفه أحد العلماء سنة ١٩٠٢م.

وبعد وفاة حمورابي تعرضت البلاد للضعف والانحطاط وتعاقب عليها هجمات الأعداء والعيلاميين فالآشوريين إلى أن انتهت إلى السيادة الآشورية.

د- الدولة الآشورية:

هاجرت قبائل من شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن ٢٠ ق. م، إلى شمال وادي الرافدين ونزلت بمكان مرتفع (آشور) لذلك عرفوا بالآشوريين. وقد أثرت البيئة الجبلية وقساوتها فيهم فجعلتهم قساة القلوب أشداء على أعدائهم ميالين للحرب، الأمر الذي مهد لهم السبيل لتأسيس إمبراطورية عظمى تمتد من أرمينيا شرقًا، إلى اليمن جنوبًا، وليبيا غربًا، والسبب في انتصارهم هو استعمالهم أسلحة حديثة فتاكة.

ومن أشهر ملوكهم أشرخدون، وآشوربانيبال الذي اشتهر بالإصلاح ولاسيما العمران، فشيد قصرًا ضخمًا في نينوى طوله ١٧٠٠ متر فيه حوالي ١٦٨ برجًا.

وبعد وفاة بانيبال ضعفت الإمبراطورية، وقامت فيها عدة ثورات، انتهت بتحالف الكلدانيين والميديين الذين تمكنوا من الاستيلاء على نينوى، وبذلك سقطت الدولة الآشورية، وانتقلت السيادة في وادي الرافدين إلى الكلدانيين بعد مقتل آخر ملوكها سنة ٦٠٩ ق.م.

ولكن انغماس الكلدانيين في حياة اللهو والترف عرَّض دولتهم للانحلال والضعف، إلى أن سقطت بابل في يد الفرس بزعامة قائدهم كورش، وذلك في سنة ٥٣٩ ق.م.

هـ- الدولة الفارسية:

١- الفرس قبائل آرية، هاجرت من بحر قزوين إلى الشاطئ الشرقي للخليج، وعاشوا على شكل قبائل متفرقة حتى تمكن كورش من تأسيس دولة في الشرق من بلاد الرافدين (العراق).

٢- توسع الإمبراطورية مع الحكم المركزي أديا إلى عدة ثورات علاوة على التنافس على العرش، فساعد كل هذا وغيره الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ ق.م على احتلال بابل والقضاء على الفرس.

٣- وبعد وفاة الإسكندر المقدوني وانقسام إمبراطوريته، تمكن أزدشير بن بابل سنة ٢٣٤ ق.م من إعادة تأسيس مملكة فارسية باسم الدولة الساسانية. وأخذ هو وأحفاده يوسعون إمبراطوريتهم حتى بلغ نفوذهم إلى مصر واليمن.

وقد عاصرت الإمبراطورية الساسانية في الشرق الإمبراطورية البيزنطية في الغرب، وكانت الحروب بينهما سجالًا، والخصومات مستحكمة، واستمر الأمر كذلك في أغلب الأحيان إلى أن ظهر الإسلام وفتح خالد بن الوليد

العراق وأتمه سعد بن أبي وقاص، سنة ٦٣٥م، ودخلت بلاد الفرس نفسها في حظيرة الإسلام.

حضارة وادي الرافدين وفارس

"مظاهر الحضارة"

- الإدارة وتطورها، العلوم وتطورها، العمران والفن.
- الحالة الاقتصادية، الحياة الاجتماعية، الديانة.

يبتدئ الدور الأول للحضارة في وادي الرافدين من السلالات السومرية إلى قيام الدولة الآشورية. والدور الثاني من قيام الإمبراطورية الآشورية إلى قيام الدولة الفارسية، والدور الثالث من قيام الإمبراطورية الفارسية إلى الفتح الإسلامي. ويظهر بأن هذا التقسيم يساعدنا على فهم التطور الحضاري لوادي الرافدين في المجالات التالية:

١- الإدارة وتطورها:

أ- الإدارة السومرية والآكادية والبابلية:

- كان نظام الحكم لعهد السومريين يقوم على أساس استقلال المدن إلى حوالي الربع الثالث من القرن الثاني قبل الميلاد عندما نشطت التجارة واتضح للمدن صعوبة المحافظة على الروح الانفصالية وحتمية الانصهار في بعضها وتأسيس دولة كبرى. لكن روح الانفصال كانت تراود المدن السومرية حتى بعد قيام الدولة الآكادية. وضعفت في عهد البابليين بصورة واضحة، لاسيما في عهد حمورابي وتشريعاته المشهورة، التي وضعت أسسًا واضحة لإدارة الدولة.
- كان الملك يترأس الجيش أثناء القتال بغية السيطرة على مراكز التجارة. لكن منذ قيام الدولة الآكادية أصبح هدف القتال علاوة على السيطرة على الطرق

التجارية، هو توسيع رقعة الدولة (مساحتها)، ونظرًا لاهتمام الآكاديين بالحروب اعتنوا بالجيش وتسليحه. والبابليون هم أول من استخدم العجلات في الحروب.

ب- الإدارة في عهد الآشوريين:

- أما الآشوريين فيعتبرون أمة حربية، أسسوا إمبراطورية واسعة لبث سيادتهم وتوفير الأسواق اللازمة، ويترأسها الملك، ويساعده ولي العهد وقائد الجيش (وزير الدفاع) وكبير موظفي الإمبراطورية (وزير الداخلية)، وكبير الأطباء (وزير الصحة)، وكاتب الرسائل، والولاة في الولايات، وكانت لهم بعض الصلاحيات.

ج- الإدارة الفارسية:

- اتضح مفهوم الإدارة في عهد الفرس، ولاسيما الساسانيين، وتعددت ألقاب الملك فلقب خشترا (محاربًا) في بادئ الأمر ثم شاهنشاه (ملك الملوك) فكسرى أخيرًا قبيل ظهور الإسلام، وفي جميع هذه الحالات كانت سلطته مطلقة لا يعارضه أحد، ونظرًا لسعة الإمبراطورية ظهر عندهم لأول مرة منصب الوزير (رئيس الوزراء)، ويساعده في مهمته الأشراف والأعيان، وهو عبارة عن همزة وصل بينه وبين الرعية. وعدة موظفين في العاصمة (سوسة أولًا، ثم المدائن ثانيًا)، أما في الولايات فكان الوالي يتمتع بقسط كبير من السلطة، ومهمته جمع الضرائب التي نظمها الفرس أحسن تنظيم، والتجنيد الذي كان إجباريًا، نظرًا لحاجة الدولة للجيش، إما للتوسع أو لصد العدوان أو القضاء على الثورات والتمرد ولذلك اعتنوا بالجيش بصورة خاصة.

٢- العلوم وتطورها:

- انتشرت الثقافة في عهد السومريين والبابليين انتشارًا واسعًا، فالسومريون اخترعوا الخط المسماري (نسبة إلى قلم يشبه المسمار) والأعداد، وسجلوا لنا تاريخهم على ألواح من الطين المجفف. وكانت الكتابة في البداية عبارة عن صور للأشياء ثم تطورت إلى علامات صوتية بلغ عددها في عهد البابليين حوالي ٣٠٠ مقطعًا يحفظها الطفل عند دخوله المدرسة استعدادًا لتلقي مختلف العلوم المعروفة في عهدهم.
- ومما يدلنا على تقدم العلوم عندهم هو وجود المكتبات مثل مكتبة تلو التي وجدت فيها ٣٠ ألف لوحة منظمة تنظيمًا دقيقًا: تاريخ، أدب، دين، علوم... إلخ. أضف إلى هذا أن اللغة البابلية كانت لغة عالمية، نظرًا لازدهار التجارة البرية والبحرية.
- لقد قسم البابليون الدائرة إلى ٣٦٠ درجة، والسنة إلى ٣٦٠ يومًا، ووضعوا الجداول للضرب والقسمة، وتقدموا في الهندسة فعرفوا حلول الأشكال المعقدة غير المنتظمة، ومنه اقتبس اليونانيون العلوم وطوروها. كما عرفوا الكسوف والخسوف وتاريخ الانقلابين والاعتداليين).
- أما في العهد الآشوري فالعلوم كانت غير ذات أهمية كبيرة بالنسبة إليهم نظرًا لاهتمامهم بالجيش وشؤون الحرب، لذلك لم تتطور العلوم إلا قليلًا.
- أما في العهد الفارسي فقد تطورت قليلًا واستخدموا اللغة الآرامية (الخط العربي) وتوصلوا إلى اختصار الخط البابلي من التدوين والخط المسماري في النقش من ٣٠٠ مقطع إلى ٣٦، وطوروها حتى غدت حروفًا هجائية.

- وبصورة عامة فالعلوم الساسانية كانت بسيطة بالنسبة للعلوم البيزنطية التي كانت تعاصرها، إذ اعتمد الفرس على ما ورثوه من علوم دون أن يطوروها ويبحثوا فيها نظرًا لانشغالهم بالحروب واهتمامهم بالزراعة في السلم.

٣- العمران والفن:

- كانت منازل السومريين والبابليين تُبنى من الطين، وتمتاز قصور الأغنياء بالكبر والحصانة، ولاسيما منها قصور الملوك، ومن أشهرها قصر سرجون، وتفنن البابليون في تشييد الأبراج العالية التي كانوا يتخذونها كمراصد فلكية.
- أما فن النحت، فهو على بساطته كان يشير إلى مدى تقدمهم في النقش، والنحت والصناعة.
- أما في العهد الفارسي: فقد تطور العمران، وبنيت المنازل، ولاسيما القصور بالحجارة تكتنفها الحدائق، والنحت الفارسي ولو أنه تأثر بغيره من ألوان النحت الأخرى لكن طابعه العام كان فارسيًا.

٤- الحالة الاقتصادية:

- اهتم السومريون والبابليون بالزراعة، فعرفوا المحراث، ولتوفير المياه عند الحاجة شقوا الترع والقنوات، وشيدوا السدود الكبرى.
- أما في عهد الآشوريين نظرًا لاهتمامهم بالحرب فإن الزراعة وأساليبها لم تتقدم، بالعكس عند الفرس، فقد اعتبروها أشرف مهنة، لذلك تطورت تطورًا ملحوظًا في كل من الأسلوب والوسائل.
- أما الصناعة في عهد السومريين والبابليين فكانت تشمل النسيج والصباغة والتطريز، بجانب صناعة المعادن والفخار وآلات التسلية، أما في عهد الآشوريين

فكانت مركزة على صناعة المعادن (الأسلحة) كما عرفوا صناعة الزجاج والأثاث المنزلي.

- وفي عهد الفرس كانت الصناعة منتشرة في الولايات على الأكثر، وتصدر أو تقدم كهدايا للأشراف، والأعيان، والقصر الإمبراطوري.

٥- الحياة الاجتماعية:

- كان المجتمع السومري والبابلي يتمتع بالمساواة بين الرجل والمرأة، فكان رب البيت هو الأب وله الكلمة الأخيرة، لكن للمرأة الحق في العمل بالخارج، ولها حق الملكية، وترث وتورث مع محافظتها على شرفها. وفي حالات الحرب ولاسيما عند محاصرة المدينة تقتل لتوفير الطعام للرجال، بحاجة أنها غير قادرة على الدفاع.
- وفي العهد الآشوري كانت المرأة لا تخرج إلا محجبة، وفقدت الكثير من حريتها، لكنها نالت احترامًا أكثر من المرأة البابلية والسومرية.
- وفي العهد الفارسي كانت المرأة تعمل في المنزل والقصور لإحياء الحفلات. وبلغ المجتمع الفارسي درجة من الانحلال حتى أصبح الرجال ينافسون المرأة في التجميل، واستخدام العطور والأدهان. واختص البعض بفن التجميل.
- وفي جميع الحالات كان المجتمع يعيش عيشة إقطاعية، يشبه إلى حد بعيد عيشة الأوروبيين في العصور الوسطى. وكانت العائلة المالكة تمثل القمة تليها طبقة الأشراف، فالصناع والمزارعين والتجار، ثم العامة، فالعبيد وأسرى الحرب.

٦- الديانة:

- كان للسومريين عدة آلهة، فلكل مدينة وقرية وكمظهر من مظاهر النشاط إله، وكان الكهنة يسيطرون على عقول الناس بواسطة الأساطير التي نشروها،

وكذلك فعل البابليون، لكن إلههم مردوخ كان في عهد حمورابي أعظم إله في الإمبراطورية، ونظرًا لعدم إيمانهم بالحياة الثانية بعد الموت لم يكتشفوا التحنيط.

- وفي عهد الآشوريين أصبح الدين في خدمة الدولة وشئونها العسكرية، وإلههم القومي الأكبر هو آشور خالق الآلهة والبشر جميعًا، وتأتي زوجته عشتار في الدرجة الثانية.
- وفي العهد الفارسي تطورت الديانة تطورًا كبيرًا، فعبدوا عدة آلهة موروثة أو اخترعوها، لكن أعظم ديانات الفرس هي الزرادشتية والمانوية وعبادة النار التي أسسوا لها عدة بيوت في أكثر من منطقة واحدة إلى أن حررهم الإسلام من المجوسية والوثنية ...إلخ.

اليونان وحضارتهم (الموقع وأهم الدول)

- الموقع ، لمحة تاريخية ، عهد الملوك.
- عهد الإقطاع ، عهد الاستبداد ، عهد الامبراطورية.
- حضارة اليونان ، العلوم ، العمران والفن.
- الحياة الاجتماعية ، الدين.

الموقع

تقع اليونان جنوب شرق القارة الأوروبية ، وهى بكثرة خلجانها وجبالها قسمت البلاد إلى وحدات صغيرة وكثيرة ، وجعلتها برية وبحرية في آن واحد . وأهمية تاريخ اليونان ليس من الناحية السياسية ، بل في تراثهم على الأكثر ، أي تاريخ حضارتهم.

لمحة تاريخية

يمكننا تقسيم اليونان إلى أربعة عهود رئيسية هي :

١-عهد الملوك (1100 - 750 ق.م) :

ويمكننا تقسيمه إلى دورين :

أ- دور الاستقرار ، وفيه خاضوا عدة حروب ضد السكان الأصليين و منهم الإيجيون . وأسسوا عدة مدن ، كان على رأس كل منها ملك ، فهو قائد الجيش وكاهن الشعب الأكبر .

ب- أما الدور الثانى ، فهو دور اقتباس الحضارة من الأمم المجاورة لهم ، فمن الفنيقيين اقتبسوا الحروف الهجائية والورق في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ومن الإيجيين اقتبسوا صناعة الأوانى الفخارية المزركشة . ونظراً لكثرة حروبهم أما ضد بعضهم أو الأمم المجاورة لهم طوروا أسلحتهم .

٢-عهد الإقطاع :

في هذه المدة ظهرت طبقة مالكى الأراضى الواسعة ، وتجمعت الثروة بيدهم لذلك هاجرت الطبقة الكادحة إلى الخارج ، واهتمت بالتجارة بعد أن تعلم أفرادها إنشاء السفن على الطراز الفينيقى ، كما دخلوا عدة حروب في حوض بحر إيجة و الأبيض والأسود . وأسسوا لهم عدة مستعمرات مثل قبرص وسيدة السفن (قرب الأسكندرية) وقيرين (طرابلس الليبية) وجنوب إيطاليا الذى دعوه بلاد الإغريق الكبرى ، وصقلية . وانتشار الإغريق تولد عنه رواج التجارة والصناعة ، مما أدى إلى تغيير الأوضاع الاقتصادية ، وبالتإلى نظام المجتمع والحكم .

٣-عهد الاستبداد (625- 525 ق.م) :

كانت ثروة النبلاء مستمدة من الزراعة ، ولما توسعت التجارة ونشطت الصناعة تركزت الثروة في طبقة التجار والصناع وتدخلوا في السياسة ، وباتوا يهددون بالثورة حكم النبلاء إلى أن قضوا عليه وقاموا بإصلاحات عديدة في مختلف المجالات لتحسين

أوضاع الطبقة العامة . وأشهر هذه الإصلاحات هي : إصلاحات " صولون " لكن الثروات ، والاستيلاء على السلطة بالقوة كان الطابع العام لهذه الفترة إلى أن اهتدى أهل أثينا (كليشينير) إلى طريقة الاقتراع العام ، لنفي أخطر شخص على سلامة الدولة ، فكان هذا بداية الحكم الديمقراطى ، الذى اتضح بصورة خاصة في عهد " بريكليس " 460– 430 ق.م ، على أننا لا ننكر بأن بعض المدن حافظت على الحكم الاستبدادى مثل إسبارطة .

٤–عهد الإمبراطورية :

كان اليونان ومستعمراته عبارة عن دويلات (دول المدن) لكل مدينة نظامها الخاص ، وحاول بعض القاد العسكريين الأثينيين خاصة توحيد هذه المدن في إمبراطورية واحدة وتحت زعامة واحدة ، ولتحقيق ذلك دخلت أثينا في عدة حروب دون أن تنجح في تحقيق الوحدة إلى أن ظهر الأسكندر الأكبر . ومن بين هذه الحروب تلك التى كانت بين اليونان والفرس ، وقد استغرقت مدة طويلة استنزفت قوى الجيش ، ومن ثم تشجعت أثينا التى كانت أكبر دول (مدن) اليونان على توحيد أجزاء الأمبراطورية ، لكنها اصطدمت مع إسبارطة (منافستها) ، ودخل الجانبان في عدة حروب كان النصر في أغلبها لإسبارطة وحلفائها .

لكن النزاع إستمر بين الطرفين إلى أن ظهر على مسرح السياسة العالمية " إسكندر المقدونى " الذى تمكن في مدة ١٠ سنوات من تأسيس إمبراطورية كبيرة امتدت من اليونان إلى الهند بما في ذلك الشام ومصر والعراق . وقد تزوج بأميرة عراقية ، واتخذ بابل عاصمة له أثناء عودته من الهند ، لكنه سرعان ما توفي سنة ٣٢٣ ق.م في بابل ، ونقلت جثته إلى الأسكندرية بمصر .

وبعد وفاته نشبت عدة ثورات وخصومات على الملك أدت إلى تقسيم إمبراطوريته إلى ثلاثة أجزاء :

أ- منطقة مقدونيا في أوروبا : -

وقد أصبحت من نصيب البيزنطيين فيما بعد إلى القرن ١٥ م حيث أصبحت من ممتلكات الدولة العثمانية .

ب-مملكة الشام :

وأصبحت من نصيب البيزنطيين إلى الفتح الإسلامى .

ج- مملكة مصر :

وأصبحت من نصيب البطالمة فالبيزنطيين إلى الفتح الإسلامى .

مظاهر الحضارة اليونانية:

ساعد اتصال اليونانيين بحضارات الشرق على اقتباس بعض مظاهر هذه الحضارات فقد تأثروا بحضارة العراق البابلية ، وحضارة مصر وحضارة الفينيقيين وحضارة الإيجيين وتتمثل لنا الحضارة اليونانية فيما يلى:

العلوم :

كان اليونانيون بدائيين ، لكن اختلاطهم بالفينيقيين أدَّى إلى تعلمهم الخط الفينيقى – منذ القرن ٩ ق.م و من ثم أخذت علومهم تتطور إلى أن أصبحت راقية وبصورة خاصة في أثينا فاشتهروا بالرياضيات ووضع "بيتاغور " نظريته المشهورة كما نبغوا كذلك في الفلك والطب ، وبزوا غيرهم في الفلسفة وأشهر فلاسفتهم " سقراط و أفلاطون " ولعل اليونانيين توصلوا إلى الفلسفة عندما حاولوا معرفة الحياة والتعمق في أسرار الكون ، وذلك بالتفكير وطرح الأسئلة : لماذا ؟ وكيف؟

واشتهر اليونانيون كذلك بالتاريخ والجغرافية ، ومن أشهر مؤرخيهم " هيرودوت " الملقب بأبي التاريخ.

العمران والفن :

وبلغ اليونانيون في العمران والفن درجة راقية ، وكان للانتعاش الاقتصادى والرقى العلمى أثر عظيم في تقدم الفن العمرانى عندهم وأشهر آثارهم الخالدة " هيكل الأكروبول" في أثينا . كما تتضح لنا قيمة الفن اليونانى في نحت التماثيل التى خلدت لنا الكثير من أبطالهم .

الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع اليونانى مقسما إلى عدة طبقات وتختلف هذه الطبقات باختلاف الرقى الفكرى والانتعاش الاقتصادى من مدينة لأخرى ففي أثينا كانت تتمتع بنوع من الديمقراطية في ذلك العصر (القديم) نجد مجتمعاً مقسما إلى ثلاث طبقات متميزة عن بعضها البعض :

١-المواطنون الأثينيون في الأصل .

٢-المستوطنون ، وهم القاطنون في أثينا ، وليسوا من أبوين أثينيين

٣-طبقة العبيد والأسرى .

وبخصوص الأسرة اليونانية فهي تتمتع بحرية واسعة وللأب السلطة العليا فهو كاهنها الأكبر ، وعندما يموت تعبد روحه .

وكان الزواج يعد في منزل العروس أولا ثم منزل العريس كما كانوا مولعين بالألعاب الأولمبية ،وخصصوا لها ملعبا خاصا .

الدين :

كانت ديانة اليونانيين وثنية فقد عبدوا آلهة وأنصاف آلهة وهي عبارة عن تشخيص لقوى الطبيعة أو الأبطال الذين قاموا بأعمال مجيدة خلدت ذكرهم وكان لكل مدينة أو قرية بل لكل أسرة إلهها و أعيادها الدينية الخاصة بها . و مع ذلك فهناك آلهة اشتهرت وأصبحت تعبد من مختلف اليونانيين وأشهرها : " زيفيس " رب السماء والآلهة والبشر عامة ، وموطن الآلهة هو جبل أولمب المغطى بالثلج .

الرومان وحضارتهم:

- أصلهم ، تأسيس روما ، التوسع الرومانى .
- تأسيس الإمبراطورية الرومانية ، تطوير الإمبراطورية .
- حضارة الرومان ، الإدارة ، العلوم ، فن النقش.
- الحالة الاجتماعية ، الديانة .
- شبة جزيرة إيطاليا وسكانها القدماء .

هاجرت عدة قبائل إلى شبة الجزيرة التى عرفت فيما بعد بإيطاليا ، منذ القرن ٨٠ ق.م وأهم هذه الجماعات في تاريخ شبة الجزيرة هم : الإيطاليون وإليهم نسبت شبه الجزيرة ثم الأثينيون وإليهم نسبت اللغة اللاتينية ثم اليونانيون والقرطاجيون الذين سادوا على تمدين الرومانيين .

الدين:

- **تأسيس روما:**

أسس السكان ممالك صغيرة ودخلوا في عدة حروب محافظة على كيانهم ورغبة في التوسع لكن بذور الإمبراطورية الرومانية يرجع تاريخها إلى تأسيس مدينة روما (٧٥٣ ق.م) التى أسسها الأثينيون من الخشب و مع مرور السنين تحولت إلى مدينة مهمة

سرعان ما ترأست كافة المدن الأخرى واتخذت عاصمة للإمبراطورية ولا تزال ليومنا هذا عاصمة لإيطاليا لكن الأساطير الرومانية ترى بأن مدينة روما تأسست في حدود سنة ٧٥٣ ق.م وأن الذى أسسها هما الأخوان التوأمان : روميللوس وريموس .

التوسع الرومانى:-

لاحظت روما تلك الحروب التى تحدث بين جيرانها فحاولت تطويق مدينتها بسور منيع للمحافظة على كيانها واستقلالها فراع ذلك جيرانها واتحدوا على محاربتها ولكنهم هزموا أمام قوة روما ، التى اتخذت منذ ذلك التاريخ تسلط نفوذها بصورة تدريجية على المناطق المجاورة لها ثم بلاد إيطاليا الوسطى وامتد نفوذها إلى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية في منتصف القرن الثالث ق.م وبذلك أصبحت تطل على البحر المتوسط ومن ثم اصطدمت مصالح الرومانيين بمصالح القرطاجيين وعقدت معاهدة عدم اعتداء بين الطرفين لكن روما لم تلبث أن احتلت صقلية ، بل لقد استغلت انشغال قرطاجة بإخماد جيش المرتزقة واحتلت كورسيكا وسردينيا .

فهذه الانتصارات التى أحرزتها روما أثارت حقد القرطاجيين ودخلت الدولتان في حروب طاحنة عرفت بالحروب البونيقية الآتى ذكرها .

تأسيس الدولة الرومانية:

أدت عدة أسباب إلى القضاء على الحكم الجمهورى الذى دام من القرن السادس ، من سنة ٥٠٨ ق.م إلى سنة ٣٧ ق.م وقيام النظام الإمبراطورى الذى دام إلى سقوط روما في الغرب سنة ٤٧٦ ق.م وفتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م في الشرق

ويبدأ النظام الإمبراطورى بتغلب يوليوس الذى لم يلبث أن استولى على السلطة لا في روما فحسب بل في أنحاء كل الإمبراطورية وقضى على خصومه ، ولقب بالدكتاتور وأصبح تمثاله يحمل مع تماثيل الآلهة في الاحتفالات الرسمية .

وبعد اغتياله تولى السلطة " أكتافيوس" الذى انتصر على حاكم الرومان في الشرق واضطره إلى الانتحار مع صديقته كليوباترا ملكة مصر ، وبذلك دخلت هذه تحت الاستعمار الرومانى سنة ٣٠ ق.م ومن ثم لقب بأغسطس والإمبراطور وهو واضع أساس النظام الوراثى في الإمبراطورية .

تطور الإمبراطورية:

عاشت الإمبراطورية الرومانية بعد مؤسسها حوإلى خمسة قرون (٣٠ ق.م – ٤٧٨م) وكانت في القرنين الأولين ثابتة الأركان موطدة الدعائم ، إذ امتدت في عهد أغسطس من نهرى الراين والدانوب شرقا إلى المحيط االأطلسي غربا . و في القرن الثالث الميلادى بدأ الانهيار والتفسخ يدب في الإمبراطورية وتسير من سئ إلى أسوأ وانتهي بسقوطها على يد البرابرة الجرمان في القرن الخامس الميلادى (٤٧٦م) بينما ثبت في شرق القسطنطينية إلى الفتح العثمانى سنة ١٤٥٣م .

جدول يمثل مراحل الحكم الرومانى		
٧٥٣ – ٥٠٨ ق.م	٥٠٨ – ٣٠ ق.م	٣٠ق.م – ٤٧٦م
النظام الملكي	النظام الجمهوري	النظام الإمبراطوري

للإمبراطورية الرومانية أثر لا ينكر في حوض البحر الأبيض المتوسط سياسيا وحضاريا .

أما من الناحية السياسية ؛ فذلك لأن الرومان تمكنوا من بث سيادتهم على ممالك عديدة واستعمروها وجعلوا منها ولايات تابعة لروما في الغرب أو القسطنطينية في الشرق (قبل انفصالها).

أما من الناحية الحضارية ، فالرومان كانوا أمة متخلفة قبل اتصالهم بحضارة القرطاجيين واليونانيين وبعد احتكاكهم بهذه الحضارات أخذوا بأسباب المدنية والرقى ويمكننا حصر مظاهر الحضارة الرومانية فيما يلى :

الإدارة:

كان الرومان في أول أمرهم يحكمهم ملوكهم إلى أن أنشأوا جمهورية قوامها دولة مدنية على غرار اليونان في سنة ٥٠٨ ق.م ، حيث تخلصت روما من حكم الأتروسكان الملكى ، وأصبحت السلطة منذ ذلك الوقت مقسمة بين السلطة التنفيذية وهي بيد القنصل وينتخب لمدة سنة من قبل المحاربيين فقط والسلطة التشريعية وكانت بيد مجلس الشوخ وهو من النبلاء كذلك ، وعليه نقول بأن السلطتين كانتا بيد النبلاء دون الشعب لذلك قامت عدة اضرابات انتهت بالقضاء على الجمهورية وإعلان الإمبراطورية منذ سنة ٣٧ ق.م ، حيث أصبحت السلطة المطلقة بيد الإمبراطور فهو مؤسس الدولة والقائد العام للجيش .

ويساعده عدة موظفين في العاصمة و الولاة أو حكام الولايات ، وهؤلاء يعينون بدورهم موظفين لمساعدتهم في إدارة الولايات ، وهكذا نشأت طبقة الموظفين في الإمبراطورية الرومانية .

أما الجيش فقد اعتنت به الدولة وبأسلحته عناية فائقة لكنه بقدر ما كان عاملا قويا في توسيع الإمبراطورية والاستعمار فإنه كان معولا لبث الاضطرابات والقلاقل في الدولة نفسها . أما كبار الموظفين فقد تدخلوا في السياسة وأصبح همهم الاستيلاء على السلطة أو تقسيمها أو على الأقل عزل الإمبراطور الذى لا يرضيهم وتعيين من يشبع رغباتهم العديدة .

العلوم :

أهم تراث علمى خلَّفه الرومان هو القانون الرومانى الذى لا يزال يدرس في كليات الحقوق، وبدأت القوانين على هيئة مجموعة من العرف والعادات المصطبغة بالصبغة الدينية ، وأقدم القوانين الرومانية دونت سنة ٤٥٠ ق.م (في عهد الجمهورية) ووضعت صيغتها النهائية في عهد "جستنيان " في القسطنطينية " بعد مدة من سقوط روما أما بقية العلوم فهي تطور للعلوم الهلنستية وهي مزيج من العلوم الاغريقية وعلوم الشرق القديم .

فن العمارة والنقش:

اقتبس الرومانيون الكثير من الفن المعمارى من الشرق و الإغريق و طووره فاعتنوا بشق الطرق الطويلة لربط أمهات المدن بعواصم الولايات ، كما اعتنوا ببناء الجسور الضخمة على الأنهار هذا علاوة على المبانى التى خلفوها في العاصمة وفي أمهات مدن الأقاليم وهي تنحصر في المعابد والمؤسسات الرسمية ومن أشهرها " الفوروم " وبنايات المسارح ومدرجات الألعاب ، ومنها ما يعرف الآن باسم " الكولوزيوم" في روما ، وهو من أروع ما خلده الرومان .

و مع اختلاف هذه المبانى في الوظيفة والغاية فإنها كلها تتصف بالتناسق الفنى وهذا ما يتضح لنا مثلا في البناية الضخمة المعروفة البنثيون ، ويتضح لنا في النحت بصورة خاصة : (الآلهة والأباطرة والعظماء وغيرهم) .

الحالة الاجتماعية:

عاش المجتمع الرومانى عيشة تختلف من ولاية لأخرى ومن الولايات للعاصمة ففي الولايات كانت الطبقة الممتازة تمثل المستعمرين الرومان ، أما الشعب ففيه عدة طبقات كلها راضخة للسلطة الرومانية في الولاية ، أما العاصمة (روما) فكانت الأسرة

تتمتع بقسط كبير من النعيم في معظم الحالات ، ونظرا لارتفاع مستوى الدخل بات في وسع كل فرد أن ينعم بالرفاهية فيذهب إلى الملاهي والمسارح والحفلات العامة أو مشاهدة الألعاب الرياضية .

أما المرأة فكانت قبل الزواج تنزوى في بيتها ، وبعد تنعم بالحرية لكنها أساءت استعمال حريتها إلى أبعد الحدود فتفشى الطلاق بصورة مخزية وانحلت الأسرة .

أما العبيد فكان لكل منزل عدد كبير ، وخصصوا لكل عمل مهما كان تافها عبدا يقوم به وكانوا يعاملون معاملة قاسية .

الديانة:

عبد الرومان عدة آلهة أشهرها جوبتر رئيس الآلهة التي عبر عنها أحدهم بقوله : وطننا مملوء بالآلهة حتى غدا وجود إله أيسر من وجود رجل "

ولما ظهرت المسيحية قاوموها مقاومة عنيفة إلى القرن الرابع الميلادى عندما اعترف قسطنطين بحرية ممارسة الشعائر المسيحية سنة ٣١٥ م ومنذ ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر أصبحت بظهور الثورة الصناعية والاستعمار الأوروبى وانتشار المبشرين قوة لا يستهان بها ، يترأسهم جميعا روحيا الباب في الفاتيكان بروما .

الحضارة والثقافة في العصور الوسطى

الحضارة المسيحية وعصر الإقطاع

في هذه الحقبة –العصر الوسيط– والتي امتدت أكثر من ألف عام نحن بصدد دراسة فكر ونظم حضارية والكنيسة وعلاقاتها وكيف يفكر الناس، فذلك العصر هو عصر الفروسية والإيمان والإقطاع والظلام أيضًا.

الواقع أنه بوفاة الإمبراطور ثيودوسيوس في عام ٣٩٥ م قُسمت الإمبراطورية بين ولديه إلى قسمين: قسم شرقي (الإمبراطورية الرومانية الشرقية)، وقسم غربي (الإمبراطورية البيزنطية)، وأصبح هناك إمبراطور في روما ولكنه يمكث في رفانا، وإمبراطور آخر في القسطنطينية. وقد سُميت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو الإمبراطورية اليونانية تحقيرًا لها حيث إن الرومان هم الحضارة في الغرب وفي نظرهم الشرق متخلف ومُحتقر ولا يستهوي الغرب أن تكون العظمة شرقية.

وندرك ذلك الأمر من رسالة في القرن الثاني عشر كتبها الإمبراطور فريدريك بربروسا الأول وبعث بها إلى مانويل الإمبراطور البيزنطي في الشرق يقول له: "أنت ومملكتك اليونانية جزء من إمبراطوريتي الغربية". ويتضح أن المتكلم هنا في الأصل جرماني ويصف نفسه أنه روماني ولكن هو جرماني بربري، والعجيب في الأمر أن يصف الإمبراطور الروماني في الأصل بأنه يوناني، وهذا تحقير للإمبراطورية الشرقية الرومانية في الشرق.

الجدير بالذكر؛ أن البلاط البيزنطي الراقي نقل للغرب الكثير، فإن كان فردريك قال ما قاله لكنه كان يقلد الحضارة الشرقية بإطلاقه لحيته التي عُرف بها "ذو اللحية الحمراء". فالإمبراطورية البيزنطية الشرقية كان لها نظام مركزي "حكومة مركزية" وجهاز

بيروقراطي ضخم وهذا كان سر وجود بيزنطة ألف عام ومائة سنة فهناك جهاز إداري "نظام إداري مستقر". أما الغرب فقد خلا من هذه الناحية –في معظمه– فآفة العصور الوسطى في أوروبا هي الولاء للسيد المباشر، فالفلاح ولاؤه يكون لشيخ القرية والعمدة ولاؤه للمحافظ والأخير ولاؤه لرئيس الإقليم ورئيس الإقليم ولاؤه للملك، على الرغم من أنه كان لابد أن يكون الولاء المباشر من الفلاح للملك. هذا الولاء المتغير ليس له أي رمز ينصرف إليه مباشرة وذلك يعني عدم استقرار فليس هناك خط ثابت، ولكن ذلك عصر ليس كل ما فيه سيء فهذا العصر يُعرف بعصر الفروسية بكل معانيها، فلم يكن عصر الإيجو (زمن الأنا) أي الأنانية بل عصر النبيل الأصيل، فقد كانت القوة الضاربة في الجيش هي قوة الفرسان لكن في نفس الوقت الفارس هو المدافع عن حقوق الضعفاء والمظلومين، وكما لم يمنع ذلك أن يكون هناك فرسان في منتهي الظلم فكلاهما وجهان لعملة واحدة.

- **عصر الإيمان:** وليس معنى ذلك الانقطاع للعبادة بل كانت فكرة الدين مسيطرة على عقول الناس وأيضًا تصرفاتهم، فلا هناك تفكير غير تفكير الكنيسة، فلا يتصدى أحد إلى تفسير الكتاب المقدس غير رجل الدين فهو المسموح له فقط بالتفسير ووعظ الناس، فلا حق لعلماني أن يجلس مجلس الواعظين.

وقد استغلت الكنيسة هذا النفوذ أو بالأحرى استغلت ذلك لتحقيق نفوذها، فاستخدمت سلاح رهيب في يديها هو سلاح الجرمان الكنسي فمن يُحرم من رحمة الكنيسة فقد خسر الدنيا والآخرة، فالفقراء والعامة كانوا يعيشون الجحيم في الدنيا على أمل الحصول على جنة الآخرة فلم يكن فيهم أحد يعصي أمرًا للكنيسة حتى لا يخسر الآخرة فلابد من إطاعة الكنيسة طاعة كاملة.

أما الجرمان بالنسبة للملوك؛ فقد كان غير ذات أهمية، فالملك ينعم بكل ما يريد والحرمان له يعني تجريده من سلطته الملكية، ولكن الكنيسة لا تملك قرار العزل فكانت تجرده من الرحمة، ولكن كان هناك ما هو أخطر من ذلك وهو قرار أعلى من الحرمان وهو قرار "اللعنة" أو إرداف الحرمان باللعنة فذلك القرار كان بمثابة إيعاز للناس بخلع الملك حتى لا يكونوا ملعونين بلعنة الملك، فلهذا كان سلطان الكنيسة بلا حدود.

ونذكر هنا فيليب الأول ملك فرنسا كانت تصدر ضده قرارات حرمان كل يوم ولكنه كان يفعل ما يريد ولا يؤثر ذلك فيه، أما ثيودوسيوس الأول الذي جعل المسيحية دين أول وحول الإمبراطورية لإمبراطورية مسيحية، فحينما عصى أسقف ميلانو جعله الأسقف يمشي حافي الأرجل عاري الرأس، أي تاركًا التاج والصندل الإمبراطوري الذي يلبسه الإمبراطور.

وبمعنى آخر أن الأسقف جرده من ملكيته (الأشعرة الإمبراطورية) وجعله يمشي من قصره إلى الكنيسة مسافة ميل الناس تراه، وعند باب الكنيسة يستأذنه ليدخل ليغفر له ولا يسمح الأسقف له بالدخول، هذا على الرغم من أن ذلك هو ثيودوسيوس الأول الذي جعل المسيحية دين أول رسمي وكانت الكنيسة قد خلعت عليه هذا اللقب لذلك (ثيودوسيوس العظيم)، ولكنه قبل هذه الإهانة من داخله. فكانت الكنيسة بذلك تتمتع بالسيادة على نفوس الناس، وعلى الرغم من أنه عصر الإيمان إلا أنه كانت هناك العربدة والرذيلة وشرب الخمر فكلاهما موجود.

- **عصر الإقطاع:** وهو النظام الاقتصادي والسياسي في أوروبا طوال تلك الفترة، وظل سائدًا لمدة طويلة من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت نتيجة طبيعية لانهيار الإمبراطورية الرومانية وهو نظام سياسي في جوهره،

فمن يملك الأرض هو الحاكم، والقوة الاقتصادية الضاربة في تلك الفترة هم أصحاب النفوذ والسلطان وهم مُلاك الأراضي.

- **عصر الظلام:** والذي أطلق هذه التسمية هم الأوروبيون أنفسهم ، ففي عام ١٢٦٨م تم إعدام الإمبراطور كونرادينو آخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية، ومنذ ذلك التاريخ حتى عام ١٥١٩م عندما علق مارتن لوثر احتجاجاته على باب كنيسة وتنبرج. هذه الفترة هي التي أطلق عليها الأوروبيون عصر الظلام. فعندما أُعدم الإمبراطور أصبح السيد الأول والسلطة المطلقة كلها هي البابوية (في يد البابا)، فأصبحت البابوية تعربد في أوروبا سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا عربدة كاملة حتى أنها كانت تتدخل في أخص خصائص الناس.

وهنا نذكر أن الكنيسة كانت تقول بأن الأرض مركز الكون والشمس تدور حولها، وعندما عارض ذلك (جاليليو) أعتبر زنديقًا وهرطوقًا. فقد حجرت الكنيسة على الفكر الإنساني في البحوث العلمية والتصرفات الشخصية، فالبابوية تحكم على ملك المجر أن يطلق زوجته برغبة الكنيسة، فلم يكن مسموح لأي إنسان أن يفعل أي شيء سوى برغبة الكنيسة. وعلما الإنسانيات جعلوا القرنين (١٥، ١٦م) تلك الفترة هي عصر الظلام وتم تعميمها لتكن من (ق ٤م- ق ١٥م)، وتلك مدة طويلة، فالحكم صحيح والتعميم خطأ فالقرن التاسع هو النهضة الشارلمانية، وفي القرنين (١١م-١٢م) نشأت الجامعات والمدارس فكيف يكون ذلك ظلام؟.

وخلاصة القول؛ أن الذي أطلق خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر التسمية بعصر الظلام لا يعمم ذلك على القرون ٩، ١١، ١٢ الميلاديين.

ولكن كيف نشأ النظام الإقطاعي ولماذا؟ إن الإجابة تكمن في معركة حدثت في القرن الرابع سنة ٣٧٨م هي معركة أدريا نوبل بين الجرمان والإمبراطورية الرومانية،

حيث قتل فالنز الإمبراطور الروماني في الغرب وذبح ٤٥ ألف جندي روماني وقيل ٧٨٥ ألف جندي، وسيطر الجرمان على مقاليد الغرب الأوروبي، واحتل الوندال أفريقيا وجنوب إسبانيا، والفرنجة غالة، والسكسون بريطانيا، والقوط الشرقيين في إيطاليا، والقوط الغربيين في إسبانيا والأندلس.

وهكذا توزعت الإمبراطورية الغربية فأصبحت ذات طابع معين ولكن النتائج الأبعد للمعارك الفاصلة ونتائجها البعيدة تغير الزمن، فأدريا نوبل غيرت حركة التاريخ، فأصبحت القوة في العصور الوسطى قوة الخيالة الفرسان، ذلك أن الجرمان كانوا فرسان والرومان مشاة، فالفرسان هم الأمراء أصحاب القوة الضاربة فأصبح لهم السلطان والنفوذ والملك لا يكون جيشه بدونهم، أما الجرمان قبل أدريا نوبل فقد عرفوا الزراعة البسيطة، والإمبراطورية الرومانية مدنية تقوم على التجارة، والعملة الاقتصادية الرومانية هي العملة الرئيسية، والجرمان فلاحون، والزراعة أصبحت عصب الحياة الاقتصادية في العصر الوسيط، فسكن الجرمان القرية فأصبحت عصب الحياة، فهم لا يستطيعون السُكنى في المدينة فتركوها وسكنوا القرية، والأمراء كانوا يملكون الأرض فأصبحوا ذوي قوة اقتصادية وعسكرية في نفس الوقت، فالفلاحين هزموا المدنيين وهذا تحول حضاري وليس معركة عادية.

والجدير بالإشارة؛ أن الملك لابد أن يملك خزانة قوية (قوة اقتصادية) وجيش (قوة عسكرية) ولذا كان الأمير صاحب السلطة المطلقة في العصر الوسيط، فمن بعد أدريا نوبل أصبح الإمبراطور في النصف الشرقي وفي الغرب في رفانا بدلًا من روما، ولم يكن لدى الإمبراطور قوة عسكرية في مواجهة القوى الجرمانية والأعداء ولذلك عهد الإمبراطور لشخص قوي يدافع عن الحدود في مقابل أن تصبح هذه الأرض في تلك المنطقة ملكًا أو هبة له ويجند بريعها من يدافعون عنها (عن الأرض)، وقد توارث

الأبناء عن الآباء تلك الأرض وعُرف ذلك بالنظام الإقطاعي، أي تصبح إقطاعية، فالإقطاع يعني أن الملك يقطع للأمير أو أي شخصية معينة تقدم خدمة جليلة له قطعة من الأرض كمكافأة ومن هنا كان عصر الإقطاع في أوروبا، ومع ذلك؛ فهذا الأمر جاء في وقت كان الملك فيه لم يعد يملك سوى أرض مثل الأمراء أو أقل منهم.

والجدير بالذكر؛ أنه في القرن التاسع كان هناك ملك هو ملك إنجلترا الفريد العظيم قال: "الله خلق العالم على شكل مثلث، ضلع يحكم وضلع يصلي وضلع يخدم الضلعين الآخرين". والضلعين الذي يحكم ويصلي لهما السيادة وهما الضلعان القائمان، أما الضلع الأفقي فهو الذي يخدم الآخرين، فالقائم له السيادة والأدنى هو العامة، فالذي يحكم هم الأمراء والذي يصلي هم رجال الدين والكنيس، والذي يخدم هم الفلاحون، ويطرأ هنا سؤال أين الملك؟ فتلك تضم الأمراء ورجال الدين والفلاحون، ومعنى ذلك أن الأرض هي عصب الحياة في تلك الفترة، فالنظام في نظر الفريد له قداسته ولا يمكن أن يتخطاه أحد لأن الله هو الذي خلقه فهو ذو قداسة خاصة. لقد استمر ذلك لمدة خمس قرون كاملة في أوروبا حتى ظهرت مفاهيم جديدة.

والواضح هنا أن الملك لم يذكره الفريد في هذا المثلث، ولكنه كان على عرش المثلث، ولكن السلطة كلها كانت للأمراء ورجال الدين.

الضلع الذي يحكم– الأمراء: الواقع أن الأرض كانت تُعطى هبة موقوتة ممكن أن يورثها الأبناء فهي تُعطى لفترة زمنية ولا تورث إلا بإرادة الملك، فالملك يستطيع أن يستردها، فمن يهب يستطيع أن يسلب الأرض وذلك إذا أخل الدفاع عنها بالشروط. والشخص الذي وهبت له الهبة له حق الانتفاع بها (الأمير – المقطع) ويكون حق الملكية لـ(الملك – المُقطع). والنظام الإقطاعي الحقيقي يقوم على الهبة الموقوتة ثم

أصبح هبة موروثة، فتحولت من هبة موقوتة Beneficium إلى هبة موروثة Feudum فأصبح القرن (١١م)، (١٢م) إقطاعًا بمعنى الكلمة.

وكان الملك هو صاحب السلطة المطلقة على الأرض وهو الذي يُقطع الأمير دوقية (تقابل محافظة في الوقت الحالي)، وبعد موت الأمير يورث الأرض أبنائه وتتجزأ وتقسم عليهم فأصبحت الملكية مفتتة، ولذا دعت الأمور في العصر الوسيط بأن الذي يملك الأرض هو الابن الأكبر فقط ويحرم بقية الأبناء، وكانت النتيجة هي ظهور الأمراء المغامرين أي أنه أمير بلا أرض عليه أن يجد لنفسه أرضًا أما بالحرب بين إخوته، أو بالسلب من الأمراء الآخرين، ولذلك نشأت الحرب الأهلية وتدخلت الكنيسة والملوك وتم وضع فترة (سلام الله)، فالنساء والتجار ورجال الدين والأطفال والمغنيين الجوالة لا أحد يعتدي عليهم، ولكن عند الحرب كان كثيرًا ما ينتهك (سلام الله). أما فترة الصوم الكبير وتسبق عيد الفصح وأعياد القداس والعذراء والمسيح وفترة الصوم الصغير فيحرم في تلك الفترات القتال وسمي ذلك (هدنة الله).

وهكذا أفلحت "هدنة الله" Truce of God في حماية الفلاحين خلال فصول الحرث والزراعة والحصاد، وكذلك توفر الأمان للتجار الجائلين خلال هذه الفصول للانتقال من سوق لأخرى، أما فيما عدا ذلك فكان من حق النبلاء خلال فصلي الشتاء والصيف أن ينغمسوا في ممارسة رياضتهم المفضلة ألا وهي الحرب. وكان من بين ما تضمنته (هدنة الرب) عدم مهاجمة أي رجل أو امرأة، أو تدمير قرية أو حصن قرية، كما يجب المحافظة على الأراضي والحيوانات وكافة الممتلكات.

أما الأمير (الحاكم المدني والقائد العسكري)؛ فبمقتضى سيطرته على الأرض أصبح السيد الفعلي لها فهو ممثل الملك في المقاطعة وعليه أن يجهز الجيوش لمحاربة الأمراء للدفاع عن قلعته ضد إخوته والأمراء المغيرين والملك نفسه أحيانًا، فهو أي

الأمير الحاكم المدني فُوض من الملك فأصبح القاضي والمنفذ للعقوبة وأصبح القائد العسكري أيضًا، فأصبح الأمير ملكًا بغير تاج (الأمراء ملوك غير متوجين) ومن أجل ذلك قال الفريد: "الضلع الذي يحكم".

وفي الحرب يستعد الأمراء للاشتراك، فالملك يستنفر جنود الأمراء والأمراء أنفسهم، وكان من حق الأمير أن يرفض الاشتراك في الحرب لذا حُددت فترة زمنية يخدم الأمير فيها الملك وهي (٤٠ يوم) فإذا زادت الحرب عن ذلك ينسحب الأمير أو يدفع الملك تكاليف الحرب للأمير، وإن لم يكن لديه مال يعده بأرض جديدة.

لقد كان الأمراء أصحاب النفوذ والأمير يتمتع بحصانة عسكرية تتمثل في القلعة التي توجد في وسط الدوقية فهي عاصمتها وحصن الأمير والثكنة العسكرية الكاملة والمهمة الأساسية لها الدفاع عن الأمير. ومما يذكر هنا؛ أن القلاع حتى القرن التاسع كانت عبارة عن حصون خشبية غير أن هذه الحصون لم تلبث أن تحولت إلى أبراج فكانت القلاع، حيث يقام حول القلعة سورًا وخندق عميق وبها أبراج في الزوايا يستقر بها الرماة. وكانت القلعة أيضًا مستقر السيد الإقطاعي حيث يعقد محكمته ويراجع الحسابات التي يقدمها له جُباة الضرائب التابعين له، فكانت أخطر صفة للأمراء بناء القلاع دون تصريح من الملك فالقلعة عصب الحياة العسكرية.

ولإظهار ذلك؛ نذكر أن إمبراطور ألمانيا فردريك بربا روسا عام ١١٧٦م في حملته الخامسة على إيطاليا دعا الأمراء للخروج ليثبت نفوذه الروماني ولكن أمير سكسونيا هنري رفض ذلك، وكان امتناعه عن الذهاب سببًا في هزيمة فردريك في إيطاليا، وعندما عاد الملك أخذ يجهز نفسه سبع سنين لحرب أميره (أمير سكسونيا التابع له).

ومما لاشك فيه؛ أن الأمراء كان عليهم حقوق إلزامية يقدمونها للملك هي:

- عندما تتزوج الأبنة الكبرى للملك؛ يقدم الأمير هدية بمناسبة الزواج السعيد. وقد تكون الهدية عبارة عن نقود، مجوهرات، أو أحجار كريمة.
- عندما يصل الابن الأكبر للملك لسن الفروسية (يصبح فارسًا)؛ يقام احتفال ضخم، ويقدم الأمراء هدية لهذه المناسبة.
- إذا وقع الملك في الأسر؛ يدفع الأمراء فدية وهو التزام أدبي وإقطاعي وكان لابد من وجوده.
- وعند موت الأمير؛ يتولى أكبر أبنائه فيقدم (حلوان) للملك لتأكيد حق الملك وإن الهبة تجدد برغبته ولا يطلق عليها ضريبة ولكنها هدية.

وكان هذا النظام يجري دون نص مكتوب فهذا عُرف (قانون غير مكتوب) متعارف عليه. وكانت العلاقة بين الأمراء والملك علاقة فصلية "أي تبعية". باللغة الإنجليزية Vassal وباللاتينية Vassus ويعني ذلك أن كل الأمراء تابعين للملك وإفصال له قانونًا من خلال النظام الإقطاعي، وكل أمير فصل (تابع) للأمير الأعلى منه في سلم الأمراء في أوروبا. وكل منهم ولاؤه لسيده المباشر، أي (علاقة الولاء المباشر) فالعلاقة للشخص وليس للدولة، وكان هذا هو آفة النظام.

ومما يذكر في هذا الصدد؛ أنه من طغيان الأمراء على الفلاحين كان لابد لهم من القيام بالخروج مع الأمراء في الحرب، حتى في خروج عام ١٠٩٥م للحروب الصليبية فقد كانت تشكل شكلًا عاما للمجتمع الإقطاعي السائد.

- **الضلع الذي يصلي – رجال الدين في الكنيسة:**

رجال الكنيسة هم رجال الدين في الغرب الأوروبي، في أول الأمر كانت الحياة بسيطة في ظل الوثنية، ولكن في القرن الرابع الميلادي تحولت الإمبراطورية إلى المسيحية، وحرص الملوك على إعطاء الأراضي أو ما عُرف بالأراضي الموقوفة

للإنفاق على المساكن والأمراء لصالح الكنيسة فازداد ثراء الأخيرة، وتحول الأساقفة إلى أمراء أكليروس فهو أمير رجل دين، ولا يلبسون لباس رجال الدين. وعكس ذلك العلماني (من يُعنى بشئون الدنيا، وهي نسبة إلى العلم بمعنى العالم). واستغل رجال الدين هذه الناحية لمصالحهم الخاصة، ومنذ القرن (٧م) حتى القرن (١١، ١٢م) كانت هناك أمراض في المجتمع الأوروبي يمكن أن نطلق عليها أمراض الكنيسة وهي:

- **بيع الوظائف الكنسية:**

وهو شراء الوظائف أي الرتب الكهنوتية في مقابل أن يُدفع مبلغ من المال للأمير أو الملك، وذلك على الرغم من أن الذي يدفع شخص عادي أي لم يُربى تربية دينية، فرجل الدين رجل دين منذ البداية والتقوى لا تُشترى ولكن لماذا تُشترى؟!! لأن هذا المنصب يُدر دخلًا من الأراضي الموقوفة للكنيسة ابتداءًا من القرن (٧م، ٨م) وحتى القرن (١١م، ١٢م). وكان الملك فيليب أشهر تاجر للوظائف الكنسية وكان البابا يصدر ضده قرار الحرمان ولكن فيليب لم يكن يبالي. وقد أطلق على بيع الوظائف الكنسية "السيمونية" نسبة على شخص يدعى سيمون الساحر الذي ذهب لبطرس وقال له: "امنحني التقوى والبركة"، ودفع له مال. فقال بطرس: "لا تُشترى بالمال" ويقصد التقوى، فسميت بيع المناصب السيمونية نسبة لأول من فكر في شراء التقوى "الوظائف الكنسية".

- **زواج رجال الدين:**

في الحقيقة؛ إن رجال الدين لم يكن لهم الحق في الزواج فهناك كنيسة أرثوذكسية مصرية وشرقية في الشرق اليوناني، وكان يسمح لرجال الدين بالزواج حتى درجة قسيس فقط، أما الكنيسة الكاثوليكية الغربية فقد حرَّمت الزواج تماما، ومنذ القرن الرابع الميلادي

حدث هذا التقسيم. وبالنسبة للرتب الكنسية فهي: شماس (قارئي)، قمص (كنيسة مدينة)، قسيس (كنيسة محافظة)، أسقف (أعلى مرتبة)، رئيس الأساقفة (البطريرك)، البابا.

وقد كان الزواج ممنوعًا؛ لأن الكنيسة هي عروس المسيح، فرجل الدين حياته عذرية كاملة، فإذا اشترى رجل الدين منصبه في الغرب فليس لديه تقوى داخلية، ومن أجل الثروة وحتى لا تذهب لغيره فأقبل رجال الدين على الزواج فكان هذا هو المرض الثاني زواج رجال الدين. فالزواج مع مساحة الأراضي الضخمة التي كانت موجودة خلقت تلك المجموعة من رجال الدين الذين أطلق عليهم أمراء لأنهم يمارسون حياة الأمراء فعرفوا بأمراء الأكليروس. ومما يذكر؛ أن الأمير الأكليروس كان يفوق الأمير العلماني لأنه ليس عليه التزامات أمام الملك مثل باقي الأمراء العلمانيين، فأصبح رجال الدين (أمراء أكليروس) أشد خطرًا وثراءًا ونفوذًا في الغرب الأوروبي، لذا تفشى مرض زواج رجال الدين والسيمونية حتى أن الكنيسة كانت قد تحولت إلى هيئة إقطاعية تمنح الوظائف الكنسية.

- **الضلع الذي يخدم – المحكومين: العامة:** في الحقيقة؛ لقد مرت حياة الفلاح العامل في الأرض بعدة مراحل، فقد سادت مرحلة العبودية في العصور القديمة، فهناك أحرار وعبيد في عصري اليونان والرومان حتى أفلاطون في كتابه "الجمهورية" يتحدث عن المدينة الفاضلة ويقرر أن الحكم والسيادة والعلم للأحرار والأعمال الدنيوية من أعمال العبيد، والفلاسفة هم معدن الذهب والقادرين على الحكم. كما أن تلميذه أرسطو يؤكد هذه الناحية في كتابة "السياسة" فهناك فئة الأحرار وفئة العبيد. وفي العصر الوسيط وجدت عبودية من نوع آخر فوجدت مرحلة القِنِّيَّة "الأقنان" وذلك نسبة إلى الشخص/العبد (قِن).

ولكن هناك فرق بين عبد العصور الوسطى وعبد العصور القديمة؛ ففي العصور القديمة كان العبيد يأتون نتيجة الحروب بين اليونان وبعضهم، وبين الرومان واليونان والفرس، وبين اليونان والممالك الأخرى، فكثر عدد الأسرى وتم تحويلهم لعبيد وتم تسميتهم بـ(رق) أي عبد لسيده. وفي المرحلة التالية في العصور الوسطى وبعد استقرار الجرمان كانت الأرض هي عصب الحياة، وتحتاج ليد عاملة هي الفلاح، والفلاح يحتاج إلى سيده. وكان القانون يُمكنه من قتله ولكن قد عُفي عنه فكان رقيق الأرض تابع لسيده، فهو قن لا يملك حياته أو حريته وهذا هو نظام العبودية في العصر القديم.

أما في العصر الوسيط؛ كانت الأرض ملك السيد وارتقى القن درجة فأصبح القن يملك حياته لا حريته. وقد كان الفلاح يتبع الأرض أينما ذهبت، بمعنى أنه إذا بيعت الأرض تباع بمن عليها من الفلاحين، فالفلاح ليس له حق في الحياة سوى أن يخدم الأمير ويفلح الأرض، وعندما يتزوج وينجب أولادًا لخدمة الأمير الذي يوزع أرضه وتكون أجود قطعة أرض خاصة به، ويوزع بقية الأراضي على الفلاحين ليزرعوها، وكان على الفلاحين أن يعملوا أربعة أيام على أرضه سخرة دون مقابل كل أسبوع فيما سمي بالعمل الأسبوعي، وتعمل الزوجة والأولاد في قصره أيضًا دون مقابل. وللفلاحين ثلاثة أيام في باقي أرض الدوقية، وكان هناك مطحن واحد للغلال يملكه الأمير في الضيعة وذلك حتى يدفع الفلاح للأمير مقابل الطحن، كما أنه هناك مخبز واحد فقط ومعصرة واحدة للعنب في قصر الأمير (الشريف) حتى يدفعون أيضًا للأمير.

ولم يكن من حق رقيق الأرض أن يرسل أولاده لتلقي التعليم في الكنيسة، أو أن يبعث بهم لممارسة التجارة في المدن قبل الحصول على موافقة السيد. أما الضرائب؛ فكان على القن أن يدفع كل ما يُفرض عليه حسبما يتراءى للسيد، وكانت الضرائب تختلف من بلد إلى أخرى ومن إقليم وضيعة إلى أخرى، وكانت ضريبة الرأس تمثل عبئًا

ثقيلًا على كواهل الفلاحين، كما كان على القن أيضًا أن يدفع للكنيسة ضريبة العشور، وكذلك كان السيد يفرض نوع من المكوس على استخدام القناطر أو الطرق في الضيعة. وكان غير مسموح للفلاح أن يتزوج إلا بأمر خاص من الأمير ولا يتزوج من ضيعة أخرى وتلك كارثة، وغير مسموح للفلاح الذهاب للمدينة، وإذا ذهب لها ولم يرجع في خلال ثلاثة أيام أصبح شخصًا مطاردًا، أو يحرم من دخول ضيعته وكل الضياع الأخرى لأنه قن آبق (ضال) ترك ضيعته وخرج عن طاعة أميره.

كما كان القن يسكن في أكواخ من القش والطين بأرضية موحلة فهو يعيش طوال أيامه في الطين، ويقول ويل ديورانت في كتابه (قصة الحضارة): إذا جاء الشتاء دخل الفلاح وزوجته وأبنائه وبهائمه وضيوفه في الكوخ ليدفئ بعضهم بعض". هذه الحياة وبتلك الصورة المظلمة الظالمة استمرت خمسة قرون كاملة من القرن التاسع الميلادي حتى القرن الرابع عشر الميلادي، صورة عاشها المجتمع الأوروبي في عصر الإقطاع.

الحضارة العربية

شبه الجزيرة العربية وأهم الممالك فيها

الموقع والمساحة ، السكان ، الموجات السامية ، أقسام بلاد العرب، أهم الممالك العربية: دول اليمن أو الجنوب ، الممالك العربية في الشمال ، دول الوسط.

الموقع والمساحة:

تقع شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب أسيا ، يحده من الشمال : الشام وشرقا : العراق والخليج العربى ، ومن الجنوب : البحر العربى (المحيط الهندى) وغربا : مضيق باب المندب والبحر الأحمر ، وخليج العقبة وصحراء سيناء ومساحتها ٣ ملايين كلم ^{٢} .

١- السكان:

سكان شبه جزيرة العرب هم ساميون نسبة إلى سام بن نوح (وأبناء نوح هم : سام ، حام ، يافث) وقد تفرقوا بعد حادثة الطوفان التي أشار إليها القرآن الكريم ، فسار حام إلى الغرب ويافث إلى الشرق ، وسام إلى الجنوب فالراجح بأن شبه الجزيرة العربية هي موطن الساميين الأصلى .

٢- الموجات السامية :

خرجت عدة موجات سامية من شبه الجزيرة مهاجرة في عصور متعاقبة ولأسباب مختلفة منذ عصر ما قبل التاريخ. والجدير بالذكر هنا أن إحدى هذه الهجرات قد استقرت بوادى الرافدين ، والثانية بوادى النيل وشمال أفريقيا بينما اتجهت الهجرات بعدئذ إلى الشام وبعدها إلى فلسطين وتفرق البعض في أنحاء الجزيرة العربية وشمال سيناء. وقد ساهم الجميع في بناء حضارات راقية لا تزال آثارها باقية حتى اليوم .

هذه بعض الموجات التي خرجت من قلب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام تلتها موجات أخرى بعد الإسلام على شكل فتوحات إسلامية عربية مما أدى إلى انتشار الدين الإسلامى واللغة العربية حتى أصبحنا اليوم نرى سكان الشام والعراق ومصر والسودان والمغرب العربى إلى جانب أهل شبه الجزيرة كلهم عربا في تفكيرهم وقوميتهم .

أهم الممالك العربية القديمة:

وقد ظهرت هذه الممالك والدول في أقسام الجزيرة العربية الثلاثة : جنوبها ، وشمالها ، وفي الوسط .

أولا: دول اليمن أو الجنوب:

وأهم الدول التي ظهرت في اليمن هي دولة معين ، فالدولة السبئية ، فحمير وتلاها الاحتلال الحبشى فالفارسى، وانتهى الأمر بأن دخل اليمن في الدولة الإسلامية منذ سنة ٦٣٢م .

أ-دولة المعينيين:

حكموا من سنة ٣٠٠٠ ق.م إلى سنة ١٠٠٠ ق.م ، وتمكن المعينيون خلال هذه المدة من بث نفوذهم السياسى إلى فلسطين بل إلى العراق كذلك. ويعد الفضل في توسعاتهم هذه بالدرجة الأولى إلى نشاطهم التجارى الذى ساعد على نشر لغتهم وخطهم الذى انتقل إلى أوروبا بواسطة الفينيقيين وقد اتخذوا عاصمتين : العاصمة السياسة وتسمى "معين" و العاصمة الدينية وتسمى "بيثل" وكلتا المدينتين قرب صنعاء .

ب- الدولة السبئية:

دامت من سنة ١٠٠٠ ق.م إلى سنة ١٥٠ ق.م وكان السبئيون في بادئ الأمر ضعفاء لمنافسة المناوئين لهم ،ولكن سرعان ما سيطر السبئيون على الموقف ،ومن ثم اتخذوا مدينة مأرب عاصمة لدولتهم، وتلقب رؤساؤها بالملوك و من أشهر ملوكهم : "

سبأ " مؤسس الدولة ، " وبلقيس" ملكة سبأ التي اتصلت بسيدنا سليمان عليه السلام – وتزوجت منه بعد ما آمنت برسالته.

ج– دولة حمير:

دامت من سنة ١٥٠ ق.م إلى سنة ٥٢٥م ، وتمتاز بحادثين كبيرين هما :

١– أن الرومان حاولوا في عهدهم السيطرة على البلاد العربية بما فيها اليمن للاستيلاء على أهم طريق تجارى كان بيد العرب ، إلا أن الحملة التي كان يقودها حاكم مصر " إيلوس جاوس" قد باءت بالفشل ، و من ثم لم يحاول أي مستعمر المس من سيادة شبه الجزيرة العربية لصعوبة مجاهل صحاريها الشاسعة .

٢– أن العرب تمكنوا في عهد الحميريين من تأسيس منطقة نفوذ لهم بالحبشة ، وأشادوا فيها حضارة ذات طابع يمنى .

فلما ضعفت الدولة الحميرية استطاعت جماعة منهم – عرفوا بالتبابعة – أن يجددوا شباب الدولة بين سنتى ٣٠٠ – ٥٢٥م ، وعندما حارب ذو نواس سكان نجران وأرغمهم على اعتناق اليهودية تعاون البيزنطيون والأحباش النصارى على غزو اليمن ، وإنهاء حكم الحميريين بها .

دور الاستعمار الحبشى:

أدت حادثة نجران وتعاون البيزنطيون مع الأحباش إلى استعمار اليمن من قبل الأحباش ، إلا أن مدة حكمهم لم تستغرق أكثر من نصف قرن ، أي من سنة ٥٢٥م إلى سنة ٥٧٥ م.

دور الاستعمار الفارسى (٥٧٥–٦٣٢م)

بعد أن طرد الفرس الأحباش من اليمن سنة ٥٧٥م استعمروا البلاد ، وحاولوا عبثا الاستيلاء على كافة البلاد العربية – شبه الجزيرة العربية – و في الوقت الذى فشل

فيه الفرس ، نجح العرب بفضل الإسلام ، حيث تمكنوا من فتح اليمن سنة ٦٣٤م ، كما فتحوا فارس نفسها بعد مده قصيرة .

ثانيا :الممالك العربية في الشمال:

ظهرت الممالك العربية في الجنوب في منطقة واحدة ، هي اليمن ، أما في الشمال فقد ظهرت في مناطق مختلفة ، وهي حسب ظهورها أو تعاصرها : الأنباط ، تدمر ، المناذرة ، الغساسنة ، وكلها ممالك أسسها العرب الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية :

أ – الأنباط (٥٠٠ ق.م– ١٠٦ م) ، هاجرت جماعة من العرب وسكنت في أقصى الجنوب من شرق الأردن الحإلى ، وأسست دولة عرفت في التاريخ بالأنباط وعاصمتها " البتراء" وهي المنطقة المعروفة حاليا بوادى موسى .

وقد اعتنى ملوك الأنباط بالتجارة ، واتصلوا بالأمم المجاورة اقتبسوا كثيرا من حضارتها ، غير أنه لما زادت ثروتهم انغمسوا في الترف ، ولم يلبث أن خضعوا لحكم الرومان.

ب– تدمر:

هاجرت قبائل من كنعان إلى الشام واستقرت في واحة خصبة كثيرة الآبار ، وأسسوا فيها مدينة تدمر بسوريا (يقال بأن سيدنا سليمان هو الذى أسسها) ، ونظرا لموقعها التجارى أخذت تتوسع إلى أن أصبحت دولة عظيمة ، كثيرا ما حاولت المحافظة على التوازن بين البارثيين (الفرس) في الشرق والبيزنطيين في الغرب ، كما حدث في عهد "أدينة" الذى اعترف البيزنطيون بفضله ولقبوه ملك الشرق ، وبعد وفاته ساءهم ازدهار وعظمة تدمر في عهد زوجته " زنوبيا" ، فقادوا حملة كبيرة انتهت بتدمير تدمر وتركوها أطلالا ، وسيقت زنوبيا أسيرة إلى روما .

ج- المناذرة:

بعد تصدع مأرب هاجرت جماعة إلى الشمال واستوطنت " الحيرة " فعرفت بالمناذرة ، و قد عقد هؤلاء مع السكان الأصليين ومن جاورهم من الفرس محالفات لصد أي عدوان خارجى . ولعبوا دورا رئيسيا في المنطقة ، وخاصة فيما يتعلق بالتحالف مع الساسانيين ضد البيزنطيين ، إلى أن ظهرت حركة الفتح الإسلامى ، فكان هؤلاء عاملا مساعدا على نجاح الفتوحات العربية .

د- الغساسنة :

وهم من العرب الذين هاجروا من الجنوب ، واستقروا في مكان يعرف ب " بئر غسان " في شرق الأردن لذلك عرفوا بالغساسنة ، وكانوا في بادئ الأمر خاضعين للبيزنطيين ، ولما أساء البيزنطيون معاملة الغساسنة وخاصة في القرن السادس الميلادى انقلبوا عليهم ، وساعدوا العرب أثناء فتح الشام .

ثالثا : دول الوسط

ظهرت في وسط شبه الجزيرة العربية عدة دول ، ولعل أشهرها :

أ-دولة الكنديين: وقامت بنفس الدور الذى لعبته دولة المناذرة والغساسنة إذ كان الكنديون عبارة عن حاجز بين اليمن في الجنوب ، والمناذرة في الشمال ، وقد دخلوا عدة حروب مع المناذرة ، ودخلوا عاصمتهم. كما اشتبكوا كذلك مع الغساسنة ولذلك كانت الدولة في حاجة إلى أموال كبيرة لتجهيز الجيوش . وحاول حجر بن الحارث زيادة الضرائب فثارت عليه قبيلة بنى أسد وقتلوه . ومن ثم سقطت دولتهم ، إذ عجز " امرؤ القيس – الشاعر " عن استعادة ملك أبيه .

مدن الحجاز : وأهمها مكة المكرمة ، ويظهر بأن الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل وزوجته " هاجر" أول من نزلها ، ثم نزلتها قبيلة جرهم ، ولما شب سيدنا إسماعيل زاره

أبوه وشيدوا معا الكعبة بأمر من الله " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم". وانتقلت رئاسة مكة إلى عدة قبائل ، لكنها انتهت إلى قريش التي ظهر منها الرسول(ص) ، وبعد فتح مكة سنة ٨ هجرياً ، أصبحت عاصمة المسلمين الدينية إلى يومنا هذا .

أ- المدينة : ويظهر بأن أول من نزل بها العمالقة . وكانت السيادة فيها تنتقل من قبيلة إلى ثانية ، إلى أن أصبح فيها ثلاث فئات تتنازع السلطة وهم اليهود والأوس والخزرج ولما هاجر اليها الرسول (ص) توحدت كلمة العرب فيها ، وأصبحت العاصمة السياسة إلى أن اتخذ معاوية دمشق عاصمة للدولة الاموية .

حضارة العرب الأولى في شبه الجزيرة العربية

- الإدارة ، العلوم والعمران ، الحياة الاقتصادية.
- الحياة الاجتماعية ، الديانة.

شيِّد العرب حضارة زاهرة قديما في الجنوب والشمال ، وكان لكل منهما طابعها الخاص الذى يميزها عن الثانية ، غير أن هناك طابعا عأما للحضارة العربية يتضح لنا فيما يأتى :

١- الإدارة :

أ – كان نظام الحكم في الجنوب ملكيا مقيدا في الغالب ، يدلنا على ذلك قوله تعإلى ، حكايته عن بلقيس : " قالت يا أيها الملأ أفتونى في أمرى ، ما كانت قاطعة أمرا حتى تشهدون " ، فالدولة يرأسها شخص (مكارب) يساعده مجلس استشارى .

ب-قسمت الدولة في الجنوب إلى مخالف " ولايات " والمخالف إلى محافد (نيابة الولاية) والمحفد على حصون ، ورئيس المخالف " القيل" ينتخب من طرف السكان ، ويساعده مجلس شيوخ (استشارى).

ج- اعتنت الدولة بالجيش كثيرا فزودته بأسلحة حديثة ، كما عززت أسطولها التجارى بأسطول حربى .

د- وكذلك تقدمت نظم الإدارة في الشمال ، خاصة في الدولة التدمرية ، إذ كانت الإدارة ديموقراطية حازمة فكان فيها مجلسان (العشائرى ، الشيوخ) يساعدان الملك بجانب الولاة في الولايات .

٢- العلوم والعمران:

أ- اكتشف المعينيون الخط المعينى ، وهم أول من اخترع الألفباء ، وعن طريق الفينيقيين انتقلت إلى الإغريق ، وبالتإلى إلى أوروبا .

ب- اكتشف الحميريون الخط المسند ، وهو تطور للخط المعينى ، وعدد حروفه ٢٨ حرفا.

ج- ولعل أعظم ما خلدَّ الأنباط في الشمال هو الخط النبطى الذى تطور حتى أصبح على الشكل الذى نكتب به حاليا .

د- عرف العرب في الفلك تقسيم السنة ، وعرفوا الكسوف والخسوف ، و في الطب كانوا يعالجون المرض بالحشائش الطبية .

هـ- أما في الهندسة ، فقد تقدموا تقدما عظيما ، تدلنا على ذلك آثار المدن التي شيدوها كمدينة البتراء عاصمة النبطيين والتي نحتت في الصخر الصلد ، وازدانت بالقصور. وكذلك شيدوا القصور الضخمة في الجنوب ومن أشهرها قصر غمدان قرب صنعاء ، و قد بلغ ارتفاعه ١٠٠ م كله من الرخام ، وسقف غرفته العليا كان من رخأمة واحدة شفافة. وأكثر من هذا السدود العديدة التي شيدوها في اليمن وأشهرها (سد مأرب)

أعجوبة هندسة الرى . كل ذلك يدل على تقدم الحضارة العربية قديما وعلى بعد نظر العرب وتفوقهم العلمى .

٣- **الحياة الاقتصادية:** نظرا لاختلاف المناطق التي قامت فيها دول الشمال فقد اختلفت بعض الجوانب الاقتصاية خاصة في حضارتهم ، وإن كانت كلها تعتمد على التجارة ،بل كانت عواصم هذه الدول عبارة عن مراكز تجارية . أما اليمن فقد ساعد موقعها الجغرافي ومناخها على ازدهار الحالة الاقتصادية .

الزراعة: ففي الزراعة نجدهم اعتنوا بها عناية كبيرة ، ولم تكن زراعتهم محصورة في السهول وحسب ، بل أصلحوا السفوح الجبلية وزرعوها كذلك ، إذ عرفوا المحراث واستعملوا الحيوانات لجره . كما اعتنوا بالرى وأساليبه من سدود وقنوات وجداول . لذلك تنوعت المنتوجات الغذائية والتجارية.

الصناعة : كانت الصناعة متقدمة تقدما عظيما، واكتسبت شهرة في الخارج، وأصبح يضرب المثل ببعضها، كالسيوف اليمنية ذات الشهرة العالمية. والأنسجة على اختلافها ودباغة الجلود التي تدخل في صناعات كثيرة أهمها صناعة الدروع للجيش . هذا إلى جانب أدوات الزينة والحلى . و قد برع المناذرة خاصة في صناعة المنسوجات المطرزة بالذهب والأحجار الكريمة .

التجارة: كانت رائجة ومربحة نظرا لأهمية الموقع التجارى الممتاز الذى تتمتع به شبه الجزيرة العربية إذ كانت تربح من تجارتها الخاصة ومن تجارة المرور – ذلك لسيطرة العرب على التجارة البحرية في البحرين الأحمر والعربى والمحيط الهندى إلى القرن السادس الميلادى ، وكانوا يتاجرون مع الشام والعراق ومصر شمالا والهند الشرقية (أندونيسيا) والصين شرقا ، وشرق أفريقيا لاسيما الحبشة والصومال وساعدت تجارتهم الواسعة على نقل حضارتهم إلى أمم مختلفة والاستفادة مما عند هذه الأمم وأهم السلع

المتبادلة : الذهب ، القصدير ، العاج ، التوابل، ريش النعام ، الفضة ، الأحجار الكريمة ، البخور ، العطور ، الطيب ، الحبوب ، الزيتون ، الخمر ، المنسوجات ... الخ.

والجدير بالملاحظة أنه حين سيطرت مدن الجنوب على التجارة البحرية في الغالب فإن مدن الوسط والشمال قد سيطرت على تجارة القوافل البرية .

٤- الحياة الاجتماعية: عاش المجتمع العربى عيشة أرستقراطية نظرا لازدهار الاقتصاد الوطنى ، فكان مستوى الدخل الوطنى الفردى مرتفعا ، ووسائل الراحة والكماليات متوفرة لذلك عاش عيشة بذخ وترف ونالت المرأة مكانة راقية في المجتمع ، فهي تتمتع بحرية واسعة لا يحرسها إلا شرفها ، فكانت تشارك الرجل في الإدارة والتجارة وغيرهما علاوة على قيامها بواجبها العائلى . و تدل الهدايا الثمينة التي قدمتها بلقيس ملكة سبأ إلى سيدنا سليمان في الشام على مدى تقدم المجتمع العربى ورقى صناعته وهذا لا ينفي أن حياة الغزو والقتال فرضت على العرب وأد بناتهم خوفا على الشرف أو خوفا من الفقر .

وكان التعاون قاعدة عأمة لعرب الشمال والجنوب يمدون المساعدة لبعضهم البعض ولمن احتاج إليها من الأجانب وقد ظلت الرابطة القبلية هي المسيطرة على العلاقات الاجتماعية بينهم وبقى الولاء للقبيلة يسبق أي شعور سواه .

٥- **الديانة** : كان العرب كغيرهم يعبدون عدة آلهة وأقدس الآله عندهم : الشمس والقمر و كوكب عطارد أما الآلهة الأخرى فكانت محلية ذات أهمية ثانوية . و في العهد الحميرى دخلت لشبه الجزيرة العربية الديانتان : اليهودية و المسيحية ولم يعتنقها إلا القليل من السكان فبينما تمسكت الأغلبية الساحقة بالوثنية وعبادة الأصنام ، استطاعت المسيحية أن تتغلغل بين الأنباط والتدمريين والغساسنة والمناذرة خاصة إلى أن ظهر الإسلام فاعتنقه الجميع أفواجا أفواجا .

الحضارة الإسلامية

تُعرف الحضارة الإسلامية على أنها حضارة ناتجة عن تفاعل الشعوب وثقافاتهم التي دخلت تحت راية الإسلام، سواء أكانت تلك الشعوب مؤمنة بالإسلام أو منتسبة له، أو مصدقة ومعتقدة به. وللحضارة الإسلامية نوعان؛ النوع الأول: وهو ما يعرف بحضارة الإبداع والخلق، وهي حضارة إسلامية أصيلة، يعد الدين الإسلامي مصدرها الوحيد، أما النوع الثاني: وهو ما يطلق عليه اسم حضارة الإحياء والبعث، والتي قام المسلمون فيها بتحسين وتطوير الفكر البشري عن طريق تجاربهم التي قاموا بها.

والحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي أقامها دين واحد، لإلا أنها كانت موجهة لجميع الأديان، كما أن الحضارة الإسلامية جزء من سلسلة حضارات مختلفة، فقد سبقتها حضارات كثيرة وتبعتها مجموعة من الحضارات، وقد قدمت الحضارة الإسلامية خبرات كثيرة للبشرية في المجالات العلمية والفنية، إضافة إلى تطورات في مجال العمارة.

بداية الحضارة الإسلامية كانت منذ عهد النبوة (١-١١هـ)، واستمرت الحضارة الإسلامية في تطورها وازدهارها في عهد الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ)، وكان للدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ) آثار واضحة في تطور وازدهار الحضارة الإسلامية وتوسعها في أفريقيا والأندلس (البرتغال، وجنوب فرنسا، وإسبانيا)، وحتى العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ)، وعصر المماليك (٦٤٨-٩٢٢هـ)، وكذلك العهد العثماني، فقد استمرت الحضارة الإسلامية بالتوسع واستمر تأثيرها في شتى بقاع الأرض.

- **مصادر الحضارة الإسلامية:** لقد استمد المسلمون حضارتهم التي بنوها على امتداد ستة قرون من الزمان من عدة مصادر هي:

- القرآن الكريم وتعاليمه التي تشجع الإنسان على العمل، والإحسان، وإتقان العمل، والحرص على تعمير الأرض، بالإضافة إلى التعاليم التي شجعت على التعليم وطلبه في مختلف العلوم والمجالات.
- السنة النبوية الشريفة، التي دعت إلى كل ما فيه الخير للبشرية من مكارم أخلاق وتعاملات وإتقان الأعمال.
- الحضارة القديمة سواء كانت شرقية أو غربية.
- الحضارة العربية قبل الإسلام.

- أسس الحضارة الإسلامية:

وقد قامت الحضارة الإسلامية على مجموعة من الأسس أهمها:

- **عقيدة التوحيد:** قامت الحضارة الإسلامية على عقيدة التوحيد التي تعني أن العبادة تكون لله وحده دون الإشراك بأي من مخلوقاته "وأن إلهكم إله واحد".
- **العدل:** اهتم الإسلام بالعدل وهذا ما جاء في نصوص من القرآن الكريم والسُنة النبوية "إن الله يأمر بالعدل".
- **العلم:** أعاد الإسلام ترتيب المفاهيم في العقل الإنساني، وحث الناس على طلب العلم، لما له من أثر في بناء وازدهار الحضارة الإسلامية "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون".
- **الأخلاق الفاضلة:** للإسلام دستور شامل في التعامل وتربية الأفراد، وهذا الدستور هو القرآن الكريم، ففيه نجد كل ما يخص تربية الأفراد والجماعات في جميع المجالات "وإنك لعلى خُلق عظيم".
- **العمل:** لأن العمل هو الذي يبني الحضارات فقد حث الإسلام على العمل، ولهذا فإن الدين الإسلامي هو دين عملي " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

- أن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية في هدفها، وعالمية في رسالتها "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".
- أن الحضارة الإسلامية قائمة على التسامح الديني "فمن عفا وأصلح فأجره على الله".

- **منجزات الحضارة الإسلامية:**

كان للحضارة الإسلامية مجموعة كبيرة من الآثار الحضارية في مختلف المجالات منها:

- **المجالات الدينية:** إن الإصلاحات الدينية التي حدثت في أوروبا قد تأثرت بشكل كبير بمبادئ الحضارة الإسلامية، وذلك بسبب الفتوحات الإسلامية في جميع أنحاء العالم، فزال الخصام المذهبي، وأعلن عن تفرد الإنسان بعبادته وتواصله مع خالقه.
- **مجال الفلك:** لقد عرف المسلمون شكل الأرض –كرويتها– وكذلك عرفوا كيف تدور الأرض، إضافة إلى معرفتهم لحركة الأجرام السماوية والتعرف على خطوط الطول والعرض.
- **مجال الطب:** تميز العلماء المسلمون في مجال الطب، فكانوا يكتشفون ويؤلفون الكتب، ونرى ذلك في كتاب ابن سينا (القانون)، وكذلك كتاب الحاوي لأبي بكر الرازي، وقد اهتم الغرب بهذه الكتب، وقاموا بترجمتها إلى اللاتينية وأصبحت تدرس في جامعاتهم واستخدام الآلات الحديثة في العمليات الجراحية.
- **مجال الأدب:** هناك العديد من الانجازات الحضارية للمسلمين في مجال الأدب، كتأثر الحضارات الأخرى بالأدب العربي الإسلامي، فنرى مدى تأثرهم بروايات الأدباء المسلمين، ويرى بعض النقاد أن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري قد تأثر بها الكاتب دانتي عند كتابته للقصة الإلهية، وقد أخذ الأوروبيون من المسلمين التخيلات في الأدب، وكذلك المجاز وما يُعرف بأدب الحماسة والفروسية، ونذكر

أيضًا حكايات الصباحات العشرة التي كتبها بوكاشيو، وهي تشبه أيضًا كتاب ألف ليلة وليلة.

- **مجال الفلسفة:** نرى في مجال الفلسفة أن الكثير من الباحثين الغربيين قد تأثروا بالفلاسفة المسلمين، حتى إن لوثر في حركاته الإصلاحية قد تأثر بما قرأه من كتب للعلماء المسلمين من أمور العقيدة والوحي، وكذلك الفلاسفة العرب، وقد اعتمدت الكثير من الجامعات الأوروبية على ما كتبه الفلاسفة المسلمون.
- **مجال التشريع:** إن لمجموعة الأحكام الفقهية للحضارة الإسلامية أكبر الأثر في القوانين المشرعة في ذلك الوقت في أوروبا، ففي عهد نابليون تُرجمت كتب الأمام المالكي الفقهية إلى اللغة الفرنسية، وقد كان (كتاب خليل) أساس القانون المدني في فرنسا، كما أن كتاب العالم خليل بن إسحاق بن يعقوب (المختصر في الفقه) من ضمن الكتب الفقهية المترجمة للفرنسية.
- **مجال الرياضيات:** ظهرت العديد من الوثائق التي تؤكد أن بعض العلوم الحديثة هي ذات أصول عربية، ومن هذه العلوم علم الجبر، هذا العلم الذي يعود الفضل لظهوره إلى العالم المسلم محمد بن يوسف الخوارزمي وكذلك الهندسة التحليلية والتفاضل والتكامل.
- **مجال العمارة:** لقد اهتمت الحضارة الإسلامية بالعمارة وأبدعت نماذج معمارية خالدة عبر الزمن، حيث حرص المعماري المسلم على تكامل وظيفة المبنى وتناسق عناصره وجمالها، وتشهد الآثار العمرانية في الحضارة الإسلامية على تعمق مهندسيها في الهندسة، والرياضيات، والميكانيكا، ومن أهم إسهأمات المعماريين المسلمين: تقنية القباب، حيث استطاعوا بناء قباب ضخمة ذات حسابات معقدة، كما تطور استخدام الأقواس على أيدي المسلمين، حيث ابتدعوا قوس حدوة الفرس، كما

ابتدعوا عنصر المقرنصات، والمشربيات التي امتازت بوظيفة بيئية تمثلت بتخفيف حدة الشمس، ووظيفة اجتماعية تمثلت بحفظ الخصوصية.

- تدوين الدواوين، حيث عمل المسلمون على إنشاء سجلات خاصة بالدولة الإسلامية بحيث تحتوي هذه السجلات أو الدواوين كل الأمور والبنود المهمة المتعلقة بالدولة، ومن هذه الدواوين: ديوان العمال، وديوان الجند، وديوان العطاءات المختلفة، والإيرادات، والمصروفات، وسجلات الرواتب، وقد كانت هذه الدواوين في بداية الأمر باللغة المتبعة في كل إقليم إسلامي، وفيما بعد عند انتشار اللغة العربية وتعليمها بين أبناء الدولة الحديثين في الإسلام أصبحت اللغة العربية هي لغة الدواوين الرئيسية وذلك في عهد عبد الملك بن مروان.
- إصدار عملة خاصة بالمسلمين، حيث كان العرب سابقًا يتعاملون بنقود الروم والفرس، حتى أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في السنة الثامنة عشرة من الهجرة بإصدار نقود عربية، وقد تطور الأمر فيما بعد وتحديدًا في عهد معاوية بن أبي سفيان حين أمر بضرب الدنانير، وفي عهد عبد الملك بن مروان أنشأ دارًا جديدة لسك النقود.
- وضع نظام قضائي متبع في كل إقليم، حيث كان هناك قاضٍ لكل إقليم بالإضافة إلى وزير للعدل أو ما يُعرف بقاضي القضاة.
- إنشاء ديوان المظالم، حيث تم تأسيس ديوان خاص ليقدم الناس شكواهم للحاكم، وقد كان الهدف الأساسي من هذا الديوان وقف الظلم والجور الواقع على الناس من أصحاب النفوذ.
- إنشاء الحسبة، وهي لجنة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفاظ على الآداب العأمة في الأسواق.

الحضارة في العصور الحديثة

- عصر النهضة والإصلاح الديني:

خلال القرون الوسطى ، تميزت الحياة في أروبا بمظهرين : النظام الإقطاعى وسيطرة الدين . وعند حلول القرن الخامس عشر ، تململ المجتمع محاولا التفلت من سلطان هذين العاملين . وتفككت أواصر الوحدة الكاثولوكية ، وتبلور مفهوم الوطن ، فكانت الدول مثل فرنسا وإنجلترا وإسبانيا وألمانيا، وسيطرة اللغات القومية على حساب اللغة اللاتينية التي كانت وحدها لغة الآدب والعلم والدين.

واتسعت دائرة المعارف، وتعددت الاكتشافات أبرزها الطباعة. ووجهت التجارة البحرية ضربة قاصمة للنظام الإقطاعى وتكاثر عدد المدن المستقلة كجنوى والبندقية ومرسيليا ... وبرزت الطبقة البرجوازية (التي تسكن المدن)، وتبدل وجه المجتمع .

وزاد بؤس الحروب والأمراض والمجاعات من نقمة الناس . وشعروا بالحاجة إلى الانعتاق ، والانصراف إلى مباهج الحياة و مسراتها ، وضاقوا ذرعا بالتقشف وأعدوا العدة للحياة الآخرة وإهمال المادة في سبيل الروح ، وبدأوا يتلمسون في الحياة المدنية مظاهر جديرة بالتقدير ، ونفروا من الملل الذى يعترى حياتهم وتمرسوا بمظاهر البهجة يحاولون بها نسيان الماضى والهروب من الحاضر فوجدوا في ألوان الطبيعة والنغم العذب والرسم والنحت والشعر والآدب ملاذا جميلا .

وانعتق الفنان من عقال الدين ساعيا وراء الموضوعات العلمانية والألوان الزاهية ، مستوحيا من القديم ليصوغ بقالب جديد فتقدم الفن وتشعبت موضوعاته لتعبر عن الفردية في الشعور، وأضحى الإنسان في ميدان الفن شأنه في ميدان الفكر والأدب محور النماذج والموضوعات .

النهضة :

ونظام القرون الوسطى إذ نسبنا إليها كل مظاهر الانحطاط لأن القرن الخامس عشر بنوع خاص – أو ما عبر عنه الإيطاليون باسم " كاترو شنتوا " (quarto cento) أي " أربع مئة " لأنه يبدأ بعام ألف وأربعمائة – وهو امتداد للقرون الوسطى وفاتحة لعصر النهضة . فيكون التململ إذا قد بدأ في القرون الوسطى وبلغ مداه الأوسع في القرن السادس عشر لذلك يختلف المؤرخون حول تاريخ بدء النهضة ولكن المسلم به أن أوروبا عند سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين (١٤٥٣) أضحت أكثر تقبلا لثورة شاملة بدلت وجه الحياة فيها .

وليس من المعقول أن تنبثق النهضة من لا شئ فقد رجع أركانها إلى التراث الإغريقى والرومانى القديم ، أو ما يسمى بالتراث الكلاسيكى فاستقوا من معينه مبادئ وموضوعات صاغوها في قالب يلائم العقلية المتحررة فتكون النهضة إذا ردة على القرون الوسطى واستقاء من العصور القديمة وتعبيرا بقالب حديث .

دور الطباعة : قامت الطباعة بدور فَعّال في نهضة الأدب والفكر والفلسفة فهي ابتكار بسيط في الظاهر ولكنه ثورى النتائج اكتشفه ألمانى اسمه " غوتمبرغ " حوإلى سنة ١٤٥٠ وكان الإنجيل المقدس أول كتاب أخرجته المطبعة فانتهي عهد المخطوطات الباهظة الثمن و المليئة بالأخطاء وتعددت النسخ عن الكتاب الواحد وعمت الفائدة ، ولم تعد المخطوطات محدودة التأثير ، لأنها انتشرت بسرعة وكثر عدد المطلعين عليها .

و مع الطباعة انقضى عهد التعليم الشفوى حيث للذاكرة الدور الأكبر ، وفقد رجال الأكليروس امتيازاً خاصا بهم لأن التعليم كان مقصورا عليهم نظرا لغنى مكتباتهم

بالمخطوطات ومع الطباعة أيضا بدا عهد التعليم بالكتاب وبالنصوص فكان ذلك أساس ثقافة جديدة هي " الثقافة الإنسانية " .

الثقافة الإنسانية:

بعد أن سيطر الدين على مرافق الحياة ، لم يجرؤ المفكرون والباحثون على تعليل الأشياء بمنأى عن الدين ، فالدين يتغلغل في كل الأمور ، ويغطى كل عقلية أو تفسير وكردة فعل ضد هذه الذهنية ظهر لدى المفكرين تعطش إلى المعرفة المتحررة . وقوى لدى المثقفين الحدس بأن تبدلا جذريا سيطر على حياتهم فنبذوا التقاليد ، اهتموا بالإنسان كأساس ومرجع لكل نشاطاتهم ومن هنا تسميتهم " بالإنسانيين " .

ومن هنا أيضا رجوعهم إلى التراث الكلاسيكى الإغرقى والرومانى ، حيث ينتفي الكبت وكره المادة والحياة وحيث تعشق الحياة والبهجة المتمثلة في آثار الاقدمين من فن وفكر وأدب، ولم يعد يكفيهم من آثار الأقدمين ترجمتها أو تحليلها ونقدها بل راحوا يفتشون المكتبات سعيا وراء المخطوطات القديمة ينقحونها وينشرونها وقرعوا أبواب الأديرة باعتبارها أغنى الأمكنة بالمخطوطات ورحبوا بالعلماء الآتين من الشرق (بيزنطة) ليساعدوهم في الوصول إلى النص الأصلى للمخطوطات، ولما سقطت القسطنطينية في يد العثمانيين ١٤٥٣ م هللوا لفرار علمائها نحو الغرب .

وتضخم عدد المكتبات العامة والتأم المثقفون في جمعيات دعيت بالأكاديميات . وهيأ " الإنسانيون" للمجتمع ثقافة جديدة بعيدة عن سلطان الدين ، قريبة من العقل والمنطق وكرسوا الانفصال بين الإيمان والعقل فانبعثت في أروبا ذهنية جديدة تطعمت بها التيارات الفكرية والعلمية والفنية والأدبية ، ولم تسلم الكنيسة الكاثوليكية من خطر انتشار الثقافة الإنسانية فكانت عليها تهجمات انتهت بانفصال البروتستانتيين عنها .

أدب النهضة : وانطلاقا من المقاييس الجديدة بث الأدباء أفكارهم عبر كل أوروبا وباستثناء قلة ضئيلة أشهرها " إراسموس" أعرض الأدباء والشعراء عن اللغة اللاتينية وعبروا عن أفكارهم بلغاتهم القومية. فكان لكل بلد نهضته الخاصة .

أ – في ايطاليا : في القرن الثالث عشر برز الشاعر دانتى (١٢٦٥-١٣٢١) في ملحمته " الكوميديا الإلهية " . تخيل فيها الجنة والجحيم وحال الأعلام البارزين فيهما . وهذه الملحمة المكتوبة باللغة القومية كانت فاتحة العهد الأدبى الإيطإلى .

و في القرن الرابع عشر مع اسمين آخرين كانا القدوة لسائر أدباء أروبا وهما بترارك وبوكاتشيو ، وبترارك (١٣٠٤ – ١٣٧٣) فلورنسى الأصل ، نفي إلى فرنسا وهنالك نظم قصائد غزلية نسجها بوحى من الأدب الكلاسيكى .

أما بوكاتشيو (١٣١٣ – ١٣٧٥) فهو تلميذ بترارك وصديقه ، صرف شوطا من عمره في التفتيش عن المخطوطات القديمة فكان أول نأثرى إيطاليا في عصر النهضة ، ترك مجموعة من القصص دعاها " ديكاميرون" .

وأول المفكرين في أواخر القرن الخامس عشر هو غولا ميكافيلى (١٥٦٩-١٥٣٨) ، أديب يسرت له وظيفته أفكارا في الحكم دونها في كتاب شهير دعاه " الأمير " واتخذ من " قيصربورجيا " مثال الحاكم . ويتلخص مبدأه السياسى بعبارة : " الغاية تبرر الوسيلة " حتى ولو كانت مغايرة للأخلاق . و في هذا إعراض عن قواعد المسيحية وخروج على سلطة الدين ، وعبر بعضهم عن ذلك " باليقظة الوثنية " .

أما " أريوستو " (١٤٧٤ – ١٥٣٣) فقد ترك قصة شعرية ساخرة ، بطلها فارس سخيف دعاه " أورلاندوا فيريوزو " . وظلت القرون الوسطى من جهة والحمية الدينية من جهة أخرى مصدر الإلهام بالنسبة للشاعر " تاسو" (١٥٤٤-١٥٩٥) واضع ملحمة "

أورشليم المنقذة " . كما أن الاهتمام بالمظاهر والتعلق بالمادة والتربية المدينة والاجتماعية برزت كلها في كتاب " رجل البلاط " لكاتبه " كاستيغليونى " ١٥٢٨ .

ب- في فرنسا : تأثرت النهضة الفرنسية بسلسلة " الحروب الإيطالية " (١٤٩٤-١٥٤٧) ، حيث طمع ملوك فرنسا بمناطق من إيطاليا . وحسبهم أنهم رجعوا منها بغنم أدبى وفنى كان فاتحة النهضة في بلادهم . واهتم الملك فرنسوا الأول بتشجيع "الثقافة الإنسانية " . ووكل إلى " غليوم ودى" أمر تنظيم التعليم الجامعى . وشجع اللغات القديمة كاللاتينية والإغريقية والعبرية واللغات الشرقية كالعربية .

وأول الشعراء " فرانسوا فليون " (- ١٤٨٩) مشاغب وشاعر ، حكم عليه بالإعدام . فنظم بانتظار الموت قصيدة مؤثرة بلغ فيها الذروة ،وقد عفي عنه فيما بعد . واعتبر فليون من منبهي الأدب الفرنسى إلى النهضة .أما " مارو" فقد ترسم خطى الشاعر الإيطإلى بترارك . وكانت له جهود حميدة في خدمة اللغة الفرنسية .

وأخيرا ولدت " الثريا " من مجموعة أدباء . ووضعت نصب عينيها إنهاض اللغة الفرنسية وإغنائها بالمفردات لتضاهي اللغات القديمة . وسخر لها يواكيم دوبيلى (١٥٢٥ – ١٥٦٠) أقصى إمكاناته الأدبية . إنما أبرز شعراء الثريا هو رونسار (١٥٢٤ -١٥٨٥) ، فهو شاعر حق أعطى الأدب الفرنسى ما كان يعوزه حتى ذلك الوقت من نفحة شعرية وجدانية .

و في النثر يطالعنا اسم " رابليه" (١٤٩٠ -١٥٥٣) الكاهن الطبيب. وضع كتابا هازئا عن عملاقين ليسلى مرضاه ويستوحى من كتابه الطريقة التعليمية التي تسعى إلى تلقف المعارف دونما إصرار على هضمها .أما منتوين (١٥٣٣-١٥٩٢) فقد استحق لقب المفكر في كتابه " التجارب " وناقض فكرة رابليه " في التعليم ، إذ شدد على هضم المعلومات أكثر من تشديده على جمعها .

ج- في إنجلترا : و في انجلترا تقدم الأدب القومى بخطى كبيرة . فبرز اسم تشوسو (١٣٤٠- ١٤٠٠) كشاعر ثم ككاتب عندما وضع مجموعة قصص سماها " حكايات كانتر بورى" و من بعده مر الأدب الإنجليزي بفترة ركود حتى ظهور "سبنسر" (١٥٢٢-١٥٩٥) .

وتميز أحد وزراء هنرى الثامن توماس مور" (١٤٧٨-١٥٣٥) بإنسانيته الجريئة ووضع كتاب الطوبى (Utopie) تخيل فيه أفضل المجتمعات ولكن جرأته وإيمانه كلفاه حياته عندما رفض أن يماشى هنرى الثامن في إصلاحاته الدينية . أما كريستوفر مارلوا (١٥٦٤ – ١٥٩٣) فقد اهتم بالمسرحيات . وبلغ من التحرر الأدبى أن نظم شعرا غير مقفي .

وأخيرا ظهر شكسبير (١٥٦٤- ١٦١٦) الذى جمع في شخصه إمكانات أدبية لا حصر لها . فلم يسرف في أي من فنون الشعر ، وضع المسرحيات فحلق ولم يجار. وحبا أشخاص مسرحياته قوة مثالية حتى نخالهم أحياء يرزقون . وأشهر مسرحياته : عطيل ، ومكبث ، والملك لير ، وهاملت ، و روميو وجولييت .

د- في إسبانيا : أطلعت النهضة الإسبانية " سرفنتس" (١٥٤٧ -١٦١٦) واضع قصة " دون كيشوت " حيث امتزج الواقع بالخيال ، وضمنها نقدا للأوضاع السائدة في عصره . وبينما كان الأدباء والشعراء يعبرون بلغاتهم القومية ، كان إرسموس " (١٤٦٦ – ١٥٣٦) الهولندى المولد والأوربى الفكر يفضل التعبير باللغة اللاتينية وبالرغم من سعة إطلاعه ، وإمكاناته النادرة في الكتابة ، ظل تأثيره على فئة معينة ، قادرة على قراءة اللغة اللاتينية ، و لاتنكر محاولاته في التوفيق بين " الثقافة الإنسانية : والتيار الدينى .

مظاهر النهضة في الغرب

نهضة الفنون والعلوم :

أ- في إيطاليا : استفاد الفن الإيطالى من سخاء الأثرياء وحماية المتنفذين أو الميسين ، تشبها بوزير " أغسطس قيصر " المعروف باسم "ميسين " وأفاد الفنانون من الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية . فسبقت الحواضر الإيطالية مثل فلورنسا وروما والبندقية وغيرها من المدن إلى الخلق والإبداع .

ففي الرسم كان " مازاتشيو" (Mazaccio) (١٤٠١ -١٤٢٩) على قصر عمره ، الرائد الأول من حيث التأثير والتعبير الداخلى ومن حيث التقيد بقانون الأبعاد في جدرانياته ، ومعه بدأت انطلاقة الفن الحديث في الرسم . ثم الراهب " فرانجليكو" (Fra Angelico) (١٣٨٧-١٤٥٥) الذى رسم الوجوه القديسة المعبرة والمؤثرة . أما بوتشيللى (Boticelli) (١٤٤٥ -١٥١٠) فكان نقطة تحول ، لأنه اهتم بالموضوعات العلمانية وضجت لوحاته بالألوان الزاهية والطبيعية فكانه في قلب النهضة. ورافقت نهضة الرسم أمال ضخمة في ميدانى النحت والبناء ، وأبرز الأقدمين من الناحتين " جيبرتى" (Ghiberti) (١٣٧٨- ١٤٥٥) ثم " دوناتلو " (Donatatelli) (١٣٨٦ - ١٤٦٦) الذى امتاز بالقدرة التعبيرية واستوحى المهندسون أمثال " برونلتشى " (Brounelleshi) من النماذج القديمة ، رومانية كانت أم أغريقية ، فمهد بذلك الطريق أمام " برأمانت " (Bramante) و " بالاديو" (Palladio) .

هكذا يكون القرن الخامس عشر أو " الكاترو شنتو " قد أعد لمجئ الأعلام الكبار من أمثال دى دافنشى ، ورفايل، وميكال انجلو.....الذين توجوا النهضة في القرن السادس عشر .

وليوناردوا دافنشى (١٤٥٢– ١٥١٩) لم يكن لعبقريته حدود وامتازت بالشمول ، فقد اهتم بجميع الموضوعات الفكرية والعلمية والفنية . ترك القليل من اللوحات ، ولكنه رسمها بقدرة فائقة . أشهرها " الموناليزا" والعشاء السرى . وإحاطة أشخاصه بإطار من الغموض السحرى ، سواء في نظرتهم وابتسامتهم او في الجو المحيط لهم . أما رافايل (١٤٨٣ – ١٥٢٠) فقد عمل ردحا طويلا في تزيين " الفاتيكان " . أعطى موهبة العمل ببساطة وسهولة نادرتين ، فنطقت وجوه أشخاصه بالنبل والجمال ، ولعل شخصيته الهادئة هي وراء تعابير أبطاله .

و ميكال أنجلو (١٤٧٥ – ١٥٦٤) نفسية مضطربة شديدة الحساسية عاش حياته الفنية في ظل عقدة الإتيان بأعمال نادرة فتملكه الغرور ، ولم يرض عن أعماله على عظمتها ، اهتم بالنحت ثم بالرسم والهندسة ، فبز جميع أقرانه ، وتهافت إليه أثرياء فلورنسا من آل مدتشى ، فنقش لهم التماثيل ونحت القبور ، واستدعاه البابا يوليوس الثانى للعمل في روما . فأقام القبة الشهيرة فوق كاتدرائية القديس بطرس ، ولكن الوفاة عاجلته قبل الانتهاء من نحت قبر البابا يوليوس الثانى أما " تيتيان " (Titien) فقد ترك حوإلى أربعة آلاف لوحة ، وفيرونيز (Veronese) أشهر ما لديه لوحة " عرس قانا "، ومعهما نذكركوريجيو.

ميزة الفن الإيطالي:

البارز في نهضة الفن في إيطاليا أنها عددت من مصادر الإيحاء ، فكانت موضوعاتها علمانية ودينية حديثة وقديمة ولم تنقد انقيادا أعمى لسيطرة الدين كما في القرون الوسطى وخرج الفنان من عزلته ليوقع لوحاته ويباهي بها . و في ذلك بروز " للفردية " لم يكن في السابق ، حيث طمس النسيان شهرة الكثيرين .

و في البناء عادت الأشكال الرومانية والإغريقية إلى البروز وولى عهد الفن القومى بالقواعد العالية مما يلائم الأجواء القائمة والضباب في غربى أوروبا وشماليها لا سماء إيطاليا الزرقاء وشمسها الساطعة ، وبرزت الأعمدة والأفاريز والنقوش على الطريقة القديمة ، وانفصل النحت عن البناء ليصبح فنا مستقلا بذاته . واهتم النحاتون بإبراز جمال الجسد بعد أن أطرحوا " الحياء المسيحى" الذى فرض على الفنان ستر الجسم دائما وستر الشعر أحيانا.

وليس كالنهضة الإيطالية قدرة على الإنتاج ، فما انبتته إيطاليا خلال هذه الحقبة قصرت عنه بقية العصور والأمم . واستطاع الفنان الإيطالي أن يتمتع بشهرة جاوزت حدود بلاده إلى العالم الأوسع .

وتعددت منابت النهضة نتيجة لليسار المادى ، فلم تقتصر على مدينة معينة ، بل حاول كل ثرى أن يفاخر بقدرته على الإتيان بمنجزات جملة واستضافة مشاهير الفنانين القادرين على إرضاء غروره . وما الأعلام الذين ذكرنا إلا قلة من المشاهير الذين عرفت إيطاليا الألوف من المشتبهين بهم .

٣- **الفنون خارج إيطاليا :**

أ- التشبه بإيطاليا : وما لبثت إيطاليا أن أضحت محجة الفنانين الأوربيين ، فتهافتوا عليها من كل صوب يستوحون آياتها ويعودون إلى ديارهم بأفكار جديدة. وسرعان ما تبلورت في أعمالهم التأثيرات الإيطالية فتجرأ النحاتون على السمو بفنهم ليجعلوه كما في إيطاليا مستقلا عن البناء بعد أن كانا متلازمين في البدء . فأشبعوا بذلك غرور المتنفذين ممن أرادوا أن تكون لهم تماثيلهم الخاصة ومثل النحاتين فعل الرسامون فتهافت عليهم الأثرياء وكان في كل ذلك زخم جديد تطعم به الفن الأوروبى . ولكن مقابلة النهضة الإيطالية بما كانت عليه في سائر بلدان أوروبا تبرز العجز الكبير والتقصير عن مجاراة الفنان الإيطالي . وليس معنى ذلك أنها لا تستحق التقدير ، بل أتت أعمالا جميلة لا تزال موضع فخار بالنسبة لفرنسا وألمانيا والبلاد المنخفضة وإسبانيا .

ب- في فرنسا: يعود الفضل إلى حروب فرنسوا الأول والإيطاليين في جعل الفرنسيين على احتكاك مباشر مع إيطاليا فلما آب فرنسوا الأول من إيطاليا اصطحب معه ليوناردوا دافنشى ومثله فعل خلفاؤه مع فنانين أقل شأنا وكان من التأثير الإيطالي أن عرف فن البناء مزجا بين الاتجاهين ، الفرنسى والإيطالي مما يتجلى في " قصور اللوار" . ولم تنتصر المدرسة الإيطالية إلا فيما بعد عند بناء قصور باريس وضواحيها ومنها فونتينبلو واللوفر والتويلرى وغيرها وبرز اسم المهندس بيارلسكو (Pierre Lescot).

كذلك شأن النحت ، فلم يتقبل التأثير الخارجى دفعة واحدة ، بل عمد النحاتون إلى الاستحياء مع الاحتفاظ بالتقاليد الفرنسية ، ولم يأخذوا عن إيطاليا إلا النقوش

الزخرفية . وبرز اسما ريشيه (Richier) وكولومب (Colombe) كمحافظين واسم " غوجون" (Goujon) كمتحرر.

ج- في ألمانيا : لم يبلغ التأثير الإيطالي في ألمانيا ما بلغه في فرنسا ، وغلب على فنانيها الاتجاه التقليدى ، كما يتجلى ذلك في رسوم غرينوالد (Grunewald) (١٤٧٠-١٥٢٨) ، فقد اعتمد الموضوعات الدينية المؤثرة . بالرغم من أن دورير وهولباين قد زار إيطاليا ، فلم يرجعا بالثورة بل غلب عليهما التحفظ.

د- في سائر أوروبا : وفي كل من البلاد المنخفضة وإسبانيا ساعد الازدهار الاقتصادى على تنشيط الفن، ولكن التأثيرات الإيطالية والتحرر في الموضوعات والعودة إلى القديم شابها جميعا الكثير من التحفظ والتردد . ولم يصلها التأثير الخارجى إلا متأخرا ، وأول البارزين في البلاد المنخفضة الرسام فان آيك (Van Etyck) ثم فئة من الرسامين أقل شهرة وإن كانوا أكثر تأثرا بأعلام إيطاليا البارزين.

أما إسبانيا فقد فضلت المحافظة على التقليد ، كما يتجلى ذلك في قصر " الأسكوريال " الذى بناه فيليب الثانى، وأشهر الرسامين كان يونانى الأصل كما يدل عليه اسمه " الغريكو" (El Gereco)، وهو لم يخرج عن المألوف في الموضوعات الدينية التي رسمها إلا فيما يتعلق بالأشكال .

خلال القرون الوسطى سيطر الدين على جميع مرافق الفكر بما فيها العلوم وشهيرة هي محاولة القديس " توما الأكوينى " في التوفيق بين " العقل والإيمان " لكن العارفين آنذاك سرعان ما انتقدوا هذه المحاولة وأشهر من تصدوا لهذه المحاولة هو غليوم أوكام فنادى بالطلاق بين الدين والعلم إذ ليس على الإنسان أن يفهم ما وراء الطبيعة بل عليه و بإمكانه أن يفهم ما في الطبيعة . فكانت تلك النقطة تحول بالنسبة للعلماء والباحثين ،

لاسيما وأن بعض المحاولات العلمية كانت قد نجحت تماما وأدت إلى العديد من الاكتشافات، ولكن هذه الاكتشافات لم تسلم دائما من ردة فعل قام بها رجال الدين .

علوم النهضة : وانطلاقا من هذا المبدأ ، عزز الإنسانيون " محاولاتهم واخضعوا كلما وصل إليهم لامتحان العقل والاختبار ،وذهبوا في منحاهم هذا إلى دراسة فقه اللغات القديمة ، ليتعرفوا عن كثب إلى مؤلفات الأقدمين فيأخذوا عنها مباشرة دون المرور بوسيط .

ومن علماء النهضة البارزين دافنشى نفسه . فقد ترك أبحاثا في الحيل والنبات والجيولوجيا والطائرات والمظلات والغواصات والمصفحات والمدافع ، فسبق عصره بأشواط. وتقدم علم الفلك على يد كوبرنيكوس الذى أكد كروية الأرض ودورانها بالنظام الشمسى دون أن يقدر معاصروه قيمة أعماله . وخطا الطب والتشريح خطوات واسعة على يد فيزال (Vesale) وبارى ، وبرزت محاولات جدية لتطوير الرياضيات والجبر والكيمياء وأهتم الرسامون أنفسهم بعلم التشريح لما له من علاقة في تصوير أعضاء الجسد وعضلاته .

وأفادت الرحلات الجغرافية من تقدم العلم ، فتجرأ فاسكو دي جاما على الدوران حول أفريقيا للوصول إلى الشرق الأقصى، وبلغ من ثقة كولومبس بما كتبه العالم توسكانيللى عن كروية الأرض أن خاض غمار الأطلسي فوصل إلى "الهند الغربية ". وكذلك شأن ماجيلان عندما أكد أميركوا فسيوتشى أن ما اكتشفه كولومبس هو قارة جديدة وليس جزرا قريبة من اليابان .